أنطوان دُ سانت أجزوبيرى



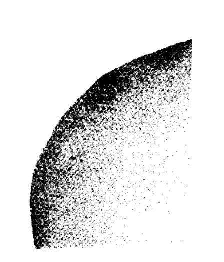


الأمير الصغير



ترجمة : حمادة إبراهيم





دار المعارف بمصر

الأمير الصغير

٦

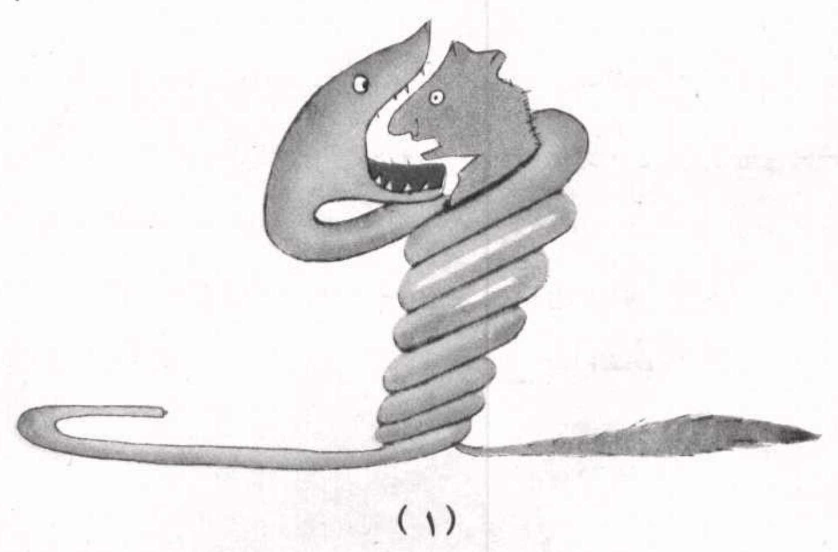


ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.ع.م.

إلى ليون فرت

أَسْتَمِيحُ الأَطفالَ عُذْرًا أَنِّى قَدَّمْتُ كِتابى هذا إلى شَخْصٍ كَبِير ، فَلَدَىَّ حُجَّةٌ بالِغَةٌ : هذا الشَّخْصُ الكبيرُ هو صَفْوَةُ أَصْدِقائى فى الْوجود . ولَدَىَّ حُجَّةٌ أُخرى : هذا الشَّخْصُ الْكَبير يَسْتَطيعُ أَن يَفْهَمَ كُلَّ شَىْءٍ حَتَّى كُتُبَ الأَطْفال . ولَدَىَّ حُجَّةٌ ثَالِثَة : هذا الشَّخْصُ الْكَبِيرُ يَسْكُنُ فَرَنْسا حَيْثُ يَجُوعُ ويَبْرَدُ ، فَهُوَ فى مَسِيسِ الْحَاجَةِ لِلْعَزاءِ . أَمَّا إذا لَمْ تَكْفِ كلُّ هَذه الْحُجَج فَإِنَّنى أُحَبِّذُ إِهْداءَ هَذا الْكِتابِ إلى الطِّفْلِ الَّذى كانَه هذا الشَّخْصُ الكبيرُ يوماً ما ، فكل الكبارِ كانوا فى بادِئِ الأَمْرِ أَطْفالاً (لكنْ قليلٌ منهم من يَذْكُر ذلك) وعَلى هٰذا فإِنَّنى أُصَحِّحُ إِهْدائى فَأَقُول :

إلى ليون فرت
عِنْدَ ما كانَ طِفْلاً صَغِيرًا

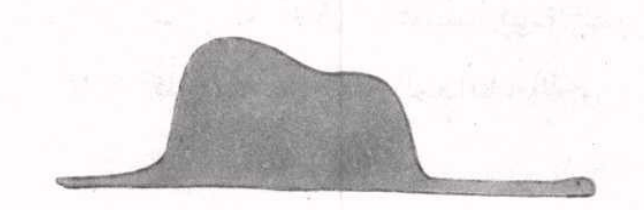


(١)

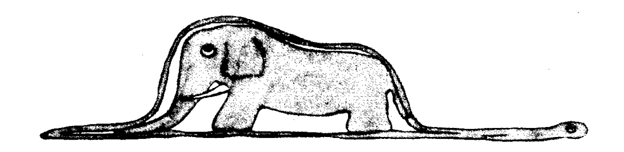
ذاتَ مَرَّةٍ وأنا فى السّادِسَةِ من عُمْرِى ، شاهَدْت صورةً رائِعةً فى كِتابٍ عن الغابَةِ العذْراء يطلق عليه « قصصٌ حية » وكانت تُمَثِّلُ أحدَ الثَّعابين الْبُوا ، وهو يَلْتَهِمُ وحْشًا . وهاكُم صورةُ الرَّسْم :

وَقِيلَ فى الكتاب : « إنَّ الثَّعابِينَ الْبُوا تَبْتَلِعُ فَرِيستَهَا كامِلَةً دُونَ مَضْغِها ، وبعدَ ذلك لا تَسْتَطِيعُ حراكاً ، فَتَنامُ طِيلَةَ السِّتة الْأَشْهُرِ اللّازِمَةِ لِعَمَلِيَّةِ الْهَضْمِ . عِنْدئذٍ أَخذْتُ أُفَكِّر مَلِيًّا فى مُغامَراتِ الأَدغال ، ونَجَحْتُ بِدَوْرِى فى أَنْ أَخُطَّ بالْقلم الرَّصاص رَسْمِىَ الأَوَّل .

رسمى رقم (١) كان عَلى هذا النَّحْو :



وقد عَرَضتُ تُحفَتِي الفَنِّيَّة عَلَى الْكِبار، وسَأَلْتُهُمْ إذا كان رَسْمى يُرْعِبُهُم . فَأَجابونى: «ولماذا ترعب القبعة ؟ » ولَمْ يَكُنْ رَسْمى يُمَثِّلُ قُبَّعَة ، وإنَّما كان يُمَثِّلُ ثُعْبَان الْبُوا يَهْضِمُ فِيلاً . ورُحْتُ أَرْسم باطِنَ الثعبان الْبُوا حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْكِبَارُ أن يَفْهَموا ، فَهُمْ دَائِماً فى حَاجَةٍ إلى تَوْضِيحات ، وكان رسمى رقم (٢) على هذا النَّحْو :



وأَشَارَ عَلَيَّ الْكِبارُ أَنْ أَصْرِفَ النَّظَرَ عَنْ رَسْم الثَّعابين الْبُوا الْمَفْتوحَةِ والْمُقْفَلَةِ ، وأَنْ أُوَجِّهَ اهْتِمامى إلى الجُغْرافية والتَّاريخ والْحِساب والْقَواعد. وهكذا هَجَرْتُ ، وأنا فى السادِسَةِ ، مِهْنَةَ الرَّسْم الرَّائِعَة . فقدكان إخْفَاقُ رسمى رقم (١) ورسمى رقم (٢) قَدْ ثَبَّطَ مِنْ عَزِيمَتِى .

إن الْكِبَارَ لا يَفْهَمون شيئاً من تِلْقاءِ أَنْفُسِهِم ، وإنَّهُ لَمِنَ الْمُرْهِقِ للأَطْفالِ أَنْ يُمِدُّوهُم دائماً وأَبَدًا بالتَّوْضِيحات .

لِذلكَ كَان عَلَيَّ أَنْ أَخْتارَ مِهْنَةً أُخرى ، فَتَعَلَّمْتُ قِيادَةَ الطَّائِرات . وقد طِرْتُ خِلالَ الْعالَمِ كُلِّهِ تَقْريباً . أما الجغرافيا ، والحق يقال ،

فلقد أفادَتْنى كَثيرًا ، فَكُنْتُ أَتعَرَّفُ مِنْ أَوَّلِ نَظْرَةٍ على الصين من الأَريزونا ، وهذا مُهِمٌّ بِمكان عِنْدَما يَضِلُّ الْمَرْءُ أَثْناء الليل .

وهكذا تَعَرَّضْتُ ، عَلى مَرِّ حَياتى ، لاحْتِكاكات جَمَّةٍ بعَدِيدٍ من الشَّخْصِيَّاتِ الْهَامَّة . وعِشْتُ مع الكبارِ طويلاً فَرَأَيْتُهُم عَنْ كَثْب . ولم يُحَسِّنْ هَذَا رَأْيى فِيهِم كثيرًا .

وعندما كنتُ أُقابِلُ واحدًا منهم على شيءٍ من رَجاحَةِ العَقْل ، كنتُ أَخْتَبِرَهُ برسمى رقم (١) الذى كنتُ أَحْتفِظُ به دائماً . كنتُ أُريدُ أَن أَعرِفَ إِذا كان مدركاً حقًّا . لكنه كان دائماً يُجيبُنى : « هذه قُبَّعَة » وعندئِذٍ لا أُحَدِّثُهُ عَنْ ثعابين البوا ، ولا عن الغابات العذراء ، ولا عن النجوم . كنتُ أَضَعُ نفسى فى مُتَناوَلِه فأُحَدِّثُه عَن« البِرِدْج وعَن الْجُولْفْ » وفى السِّياسَةِ وأَرْبِطَةِ العُنُق ، ويُسَرُّ الكَبِيرُ لِتَعَرُّفِهِ إلى إنسانٍ عاقِل .

(٢)

وهكذا عِشْتُ وَحِيدًا بِغَيرِ إِنْسانٍ أَتحدَّثُ مَعَه بِصَراحَة حتَّى وَقَعَ لى عَطَبٌ فى الصَّحْراءِ الكُبْرى ، مُنْذ سِتِّ سَنوات ، شيءٌ ما كان قَدْ تَحَطَّمَ فى الْمُحرِّك ، ولَمَّا لَمْ يَكُنْ بِصحْبَتِى لا ميكانيكى ولا مُسافِرون ؛ فقد تَهَيَّأْتُ مُحاوِلاً وَحْدِى إِنْجازَ إِصْلاحٍ عَسيرٍ . وكان هذا بالنِّسْبَةِ لى

مَسْأَلَةَ حياةٍ أَوْ مَوْتٍ . فَقَد كان مَعِى بالْكاد ماءٌ لِشُرْبِ ثمانيةِ أيامٍ .

نِمْتُ فى تلك اللَّيلةِ الأُولى على بُعْدِ أَلْفِ ميل من أَيَّةِ منطقَةٍ مَسْكونةٍ . كُنْتُ أَكثرَ عُزْلَةً من غَريق على لَوْحَة وَسْطَ المُحيط . وبذلك تَسْتَطيعون أن تَتَصَوَّروا دَهْشَتى عندما أَيْقَظَنى ، عند مَطْلَع النَّهار ، صوتٌ غريبٌ هَزيل يقول :

– من فَضْلِك . . . ارْسِم لى خَرُوفاً .

– هه !

– إرْسِمْ لى خَرُوفاً .

فَوَثَبْتُ واقِفاً على قَدَمَىَّ كما لوْ كُنْتُ صُعِقْت .

وَفَرَكْتُ عَيْنَىَّ ، ونظرتُ بإمْعانٍ ، فَرأَيتُ غلامًا غَريباً كلَّ الغَرابةِ يَتَأَملنى باهْتِمام. وهاكُمْ أَفْضَلَ صُورةٍ نَجَحْتُ فيما بَعْد فى رَسْمِها له ، ولكنَّ رسمى ، بكلِّ تأْكيد ، أَقَلُّ جاذِبِيَّةً من النَّموذَج بكثير. ولكنْ لَيْس هذا بذنبى ،فإنَّ الكبارَ كانوا قد ثَبَّطوا مِنْ عَزيمَتى كَرَسَّام وأَنا فى السَّادِسةِ من عُمْرى ، ولِذَلك لَمْ أَتعَلَّمْ رَسْمَ شىءٍ غَيْرِ الْبُوا الْمَفْتوحَةِ والْمُقْفَلَة .

تَأَمَّلْتُ إذَن هذه الرُّؤْيا بعَيْنَيْنِ مُسْتَدِيرَتين دَهْشَة ، ولا تَنْسوا أَنَّنى على بُعْدِ أَلْفِ مِيلٍ مِنْ أَيَّةِ مَنْطِقة مَسْكونَة ، وفَضْلاً عَنْ ذَلك ، لَمْ يَكنْ يَبْدُو عَلَى الْغُلاَم أَنَّه ضَالّ أَوْ هالِكٌ جُوعاً ، أَوْ هَالِكٌ ظَمَأً أَو هالِكٌ رُعْباً . لَمْ يَكُنْ يَبْدُوعَلَيْهِ إطْلاَقاً مَا يَنِمُّ عَنْ طِفْل تَائِهٍ وَسْطَ

الصَّحْراءِ على بُعْد أَلْفِ مِيل مِنْ أَيَّةِ منطقةٍ مَسْكُونة . وبَعْد لأْى ، عِنْدما اسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَكَلَّم ، قُلْتُ له :

– ولٰكِنْ . . . ماذا تُراكَ تَفْعَل هُنا ؟

فَمَا كَان منه إلاَّ أَنْ كرَّرَ بِكُلِّ تُؤَدَةٍ كَمَا لَوْ كَانَ الأَمْرُ هَامًّا :



ــ من فَضْلِكَ ارْسِم لى خَرُوفاً . . .

وَعِنْدَما يَفوقُ تَـأْثِيرُ الْغُموضِ كُلَّ تَقْدير فإِنَّ الْمَرءَ لاَ يَجْرُؤُ على العِصْيان . فبالرَّغْم من أَنَّ الأَمْرَكان يَبْدُو لى سَخِيفاً عَلَىَ بُعْدِ أَلْفِ ميلٍ من كلِّ الأَماكِنِ الْمَسْكونة ، إلا أَنَّنى أَخْرَجْتُ من جَيْبى ، ورقةً وقلَماً . ولٰكِنَّنى تذَكَّرْتُ عِنْدئِذ أَنَّنى بِخَاصَّة دَرَسْتُ الْجُغْرافيا والتاريخ والحِساب والْقواعِد .

فَقُلْتُ لِلْغُلام (بِشَىْءٍ مِنَ التَّـأَفُّف) إننى لا أُجيدُ الرَّسْم ، فَرَدَّ قائلا :

ــ لا بَـأْس . ارْسِمْ لى خَرُوفًا .

وَلمّا لم يكن قد سَبَق لىأن رَسَمْتَ خروفاً على الإِطلاق فقد خَطَطْتُ لَهُ أَحَدَ الرَّسْمَيْن اللَّذَيْن لَمْ أُتْقِنْ سِواهُما ، ذلك الذى يُمَثِّلُ الْبُوا مَقْفَلًا ، وذُهِلْتُ عِنْدما سَمِعْتُ الْغُلام يَقُول :

ــ كَلاَّ ! كَلاَّ ! أَنا لا أُريدُ فِيلاً داخِلَ الْبُوا فإِن الْبُوا شَدِيدُ الْخُطورة والْفيلُ مُرْبِكٌ للْغاية ، وبيَتْى صغيرٌ بمكان ، فأَنا أُريدُ خَرُوفاً ، ارْسِملى خَرُوفاً. فرَسَمْتُ ، فَنَظَرَ بإِمْعانٍ ، ثُمَّ قَال :

ـ كَلاَّ ! إنَّه مَرِيض جِدًّا . ارسِمْ آخر . وَرَسَمْت .

فابْتَسَم صَديقى ابْتِسامَةً سَمْحَةً رَقيقَة وقال :

ـ إنك ترى بِوضُوح أنَّ هَذا لَيْس خرُوفاً ، إنه كَبْش ، فإنَّ له قُرُوناً .

فَأَعَدْتُ الرَّسْم مَرَّةً أُخْرَى ؛ ولٰكِنَّه رُفِضَ كالسَّابِقَيْن .

ـ هذا مُفْرِطٌ فى الْكِبَر ، إنَّنى أُريدُ خَروفاً يُعَمِّر طَويلا . وعندَئذٍ ، عِنْدَما نَفَد صَبْرى ، ولَمَّا كُنْتُ مُتَعَجِّلاً لِبَدْءِ عَمَلِيَّة تَفْكِيكِ الْمُحَرِّك ، فَقَدْ خَطَطْتُ هذا الرَّسْمَ وأَرْدَفْتُ قائلاً :

ـ هذا هُو الصُّنْدوق ، أما الْخَرُوف الَّذى تُريدُ فَهُو بالدَّاخِل .

ولكنَّ دَهْشَتِى كانَتْ عَظِيمَةً عِنْدَما رَأَيْتُ وَجْهَ قَاضِىَّ الصَّغير الذى يحكم على رسومى يُشْرِقُ قائلاً :ـ

هكذا بالضَّبْط ماكُنْتُ أُريد . أَتَعْتَقِدُ أَنَّ هذا الْخَروف يَلْزَمُهُ عُشْبٌ كَثِير؟

ـ لماذا تَسْأَل ؟

ـ لأَنَّ بَيْتِى صَغِيرٌ جِدًّا .

ـ سَيَكْفِى بالتَّأْكِيد ، لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ خَرُوفاً صَغيرًا .فَمالَ بِرَأْسِهِ ناحِيَةَ الرَّسم :

ـ لَيْس صَغِيرًا إلى هذا الْحَد ...

انظر ! لَقَدْ نام . . . وهكذا تَعَرَّفْتُ إلى الأَميرِ الصَّغِير .

(٣)

كان لا بُدَّ لى مِنْ وَقْتٍ طويلٍ لِكَىْ أَفْهَمَ مِنْ أَيْنَ أَتى . فقد كان يبدو على الأَمير الصغير، الذى يُكْثِر من تَوْجيه الأَسْئِلة إلىَّ ، أنه لا يسمع تلك الَّتى أوجِّهُها إليه . إنَّها كَلِماتٌ لُفِظَت عَفْوًا هِىَ التى كَشَفَتْ لى رُوَيْدًا رويدًا عَنْ كُلِّ شىء ، فمن ذلك أنه عندما لَمَح طائِرَتى لأَول مرة (أنا لَنْ أَرسم طائرتى فهو رسم مُعَقَّدٌ للغاية بالنسبة لى) سأَلنى :

– تُرى ما هذا الشَّىء ؟

– لَيْسَ هذا بِشَىء ؛ هذه تَطِير . إنَّها طائِرَة ، طائِرَتى . وكُنْتُ فَخورًا أن يَعْرِفَ أَنَّنى أَطير . وعندَئِذٍ صاح :

– كيف ! سَقَطْتَ من السَّماء !

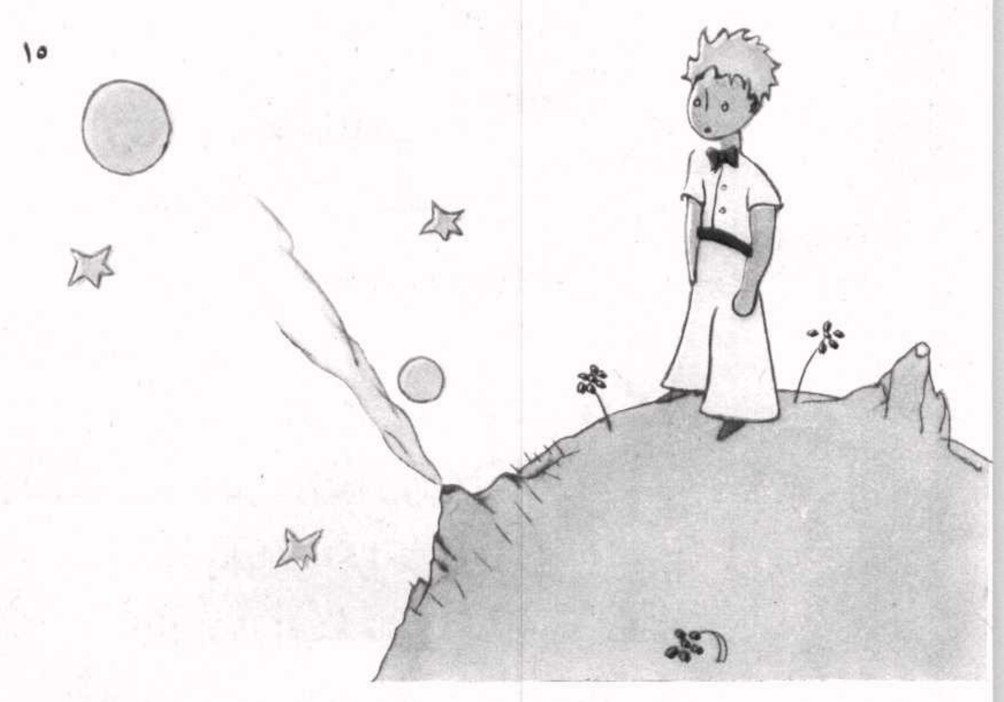
– أَجل ، قُلتها بِتَواضُع .

– آه ! شىءٌ غَريب !

وَراحَ الأَميرُ الصغيرُ فى انْطِلاقَة رائعة مِنَ الضَّحِك ضايَقَتْنى كَثِيرًا ، فَأَنا أُحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ النَّاسُ مَصائِبِى مَأْخَذَ الْجِدّ . ثُمّ أضاف :

– إذَنْ أَنْتَ كَذلك آتٍ مِنَ السَّماء؟ من أَىِّ كَوْكَبٍ أَنت؟

وسَرْعان ما اسْتَطَعْتُ أَن أَسْتَشِفَّ بَصِيصاً من النُّور



وَسْطَ الْغموض الَّذى يَكْتَنِفُ وُجُودَه ، وسَأَلْتُهُ فَجَأَة .

ـ إذَن فَأَنت آتٍ من كَوْكب آخر ؟

ولٰكنَّه لَمْ يُجبْنى . وأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ فى هُدُوءٍ يَنْظُرُ إلى طائِرَتى :

ـ غير أَنَّك فى الواقع ، لا يُمْكِن أَنْ تكَونَ آتِياً مِنْ بُعْدٍ قَصِىّ .

ثم أَوْغَلَ فى إطْرَاقَةٍ اسْتَغْرَقَتْ طَويلا ، وبَعدَ ذلك أَخْرَجَ خَرُوفى مِن جَيْبه وَرَاح يَتَأَمَّلُ كَنْزَه . وتَسْتَطيعُون أَنْ تَتَصَوَّروا كَمْ أثار فضولى بهذه المعلومات الناقصة عن الكواكب الأُخرى ، ولذلك اجْتَهَدْتُ وَراءَ الاسْتِزادَة مِنَ الْمَعْرِفَة عَنْها .

ـ مِنْ أَيْن أنتَ آتٍ يا غُلامى ؟ أَيْن « بَيْتُك » هذا ؟

وإلى أين تريد أن تذهب بخروفى ؟

ـ فَأَجابَنى بَعْد صَمْتٍ مُتأَمِّل :

ـ الْجَمِيل ـ أنَّ الصُّنْدوقَ الَّذى أَعْطَيْتَنى إيّاه سَوْفَ يَكُون له مَنْزِلاً أَثْنَاءَ اللَّيل .

ـ بِكُلِّ تَأْكيدٍ ، وَلَو كُنْت لَطِيفاً مَعى فَسأُعْطِيكَ كذلك حَبْلا لِتُقَيِّدَه أَثْناءَ النَّهار ، وَوَتَدًا . وظَهَرَ أَنَّ الاقتراح صَدَمَ الأَميرَ الصغير.

ـ أُقَيِّدُه ؟ يالَها من فكرةٍ غريبة !

ـ ولكنَّكَ إن لم تُقَيِّدْهُ فإنه يَذْهَبُ إلى أىِّ مكانٍ ويَضِيع .

وراح صديقى فى انْطِلاقةٍ جديدةٍ من الضحك

ـ لكن أين تُريدُ أن يذهب ؟

ـ إلى أىِّ مكانٍ ، حيث تَقودُه قَدَماهُ رَأْساً .

وعندئذٍ عقَّبَ الأَميرُ الصغيرُ آسفاً :

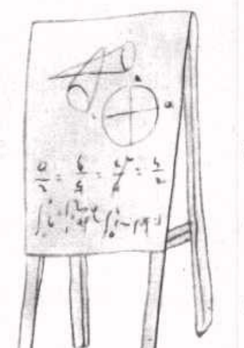
ـ هذا لايهم إطلاقاً لا بأْس .

إن المكان عندى ضَيِّقٌ إلى حد كبير .

ثم أضاف ، ربما بشىءٍ منَ الاكْتِئاب

ـ فى انطلاقِهِ رأساً لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذْهَبَ إلى بُعْد قَصىّ .

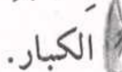


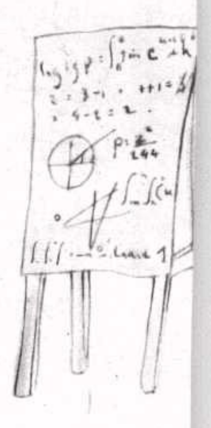


(٤)

وهكذا عَرَفْتُ أَمْرًا ثانياً ، وعَظِيمَ الأَهمية ، وهو أن كَوْكَبه الأَصْلِيَّ لا يكادُ يَكْبُرُ مَنْزِلاً .

وليس فى هذا ما يَسْتَدْعى طول حَيْرَتى ، فقد كنتُ أَعرفُ جيدًا أنه بِخِلاف الكواكبِ الضَّخْمَةِ ، كالأَرض وچوبيتير ومارْس وڤينوس ، والتى أُطْلِقَتْ عليها أَسْماء ، تُوجَدُ مِئاتٌ أخرى من الكَواكِبِ تَبْلُغُ فى بَعْضِ الأَحْيان من الصغر حَدًّا نَجِدُ مَعَهُ مَشَقَّةً بالِغَةً فى رُؤْيَتِها بالمِنْظار المكبِّر . وعِنْدَما يَكْتَشِفُ فَلَكِيّ إحْداها ، فإنه يُطْلِق عليها اسْماً عبارة عَنْ رقم ، فَيَدْعُوها مثلا : « السَّيَّارة رقم ٣٢٥ » . ولَدَىَّ أَسبابٌ كَفِيلَةٌ بِإِقْناعى بـأَن الكوكَب الذى أَتى منه الأَميرُ الصغيرُ هو السَّيارة ٦١٢ ؛ فهذه السيارة لم تُر غَيْرَ مَرَّةٍ واحِدةٍ بالتليسكوب عام ١٩٠٩ ، وكان ذلك بواسِطَة فَلكى تُركى . ولقد قَدَّم هذا الفلكى دَلِيلاً واضِحاً على اكْتِشافِهِ إلى مُؤتَمَرٍ عالمِيٍّ لِلْفَلَك ، ولكنَّ أَحَدًا لَمْ يُصَدِّقْهُ بِسبَبِ هِنْدامِه ، وهذا شَأْنُ الكبار.





ومِنْ حُسْنِ الطالِع الذى كُتِبَ لِشُهْرَةِ السَّيارة ب ٦١٢ ، أن فَرَضَ طاغِيَةٌ تُرْكِيٌّ على شَعْبِه أن يَلْبَسَ على الطَّرِيقة الأُوربية ، تَفادِياً لعُقوبَةِ الإِعْدام . وقد أعاد الفلكى تَقْدِيمَ دَلِيلِهِ سنة ١٩٢٠ وهو يَرْتدى ثِياباً أنيقة . وفى هذه المرة أَخَذَ الجَمِيعُ بِرَأْيه . وإذا كنتُ قد أَطْلَعْتُكُمْ على هذه التفْصيلات عن السيارة ب ٦١٢ ، وإذا كنتُ قد أَسْرَرْتُ إليكم بِرقمها ، فإن ذلك بسبب الكبار. إن الكبارَ يعْشَقون الأَرقام ، فعندما تحدثهم عن صَديق جَديد فإنهم لايَسْأَلونك مُطْلقًا عَن الْجَوْهَرِ. إنَّهُم لا يَقُولون لك أبدًا «ما هى نَبْرَةُ صَوْتِهِ ؟

ما هى الأَلعاب التى يفضلها ؟ أتراه يهتم بجمع الفراش ؟ »
إنهم يَسْأَلونك : « ما عُمْرُه ؟ كَمْ عَدَدُ إِخْوَتِهِ ؟ ما وَزْنُه ؟
كَمْ يَكْسِبُ والِدُه ؟ »

عِنْدَئِذٍ فَقَطْ يَعْتَقِدون أنهم عَرَفُوه . إنَّك لو قُلْتَ لِلْكِبار : « لَقَد رأَيْتُ مَنْزِلاً جَميلاً مِنَ الطُّوبِ الْوَرْدى ، تزيِّنُ نَوافِذَه أَزْهارُ الجيرانيوم ، ويَقْبَعُ على سَقْفِه الحمام ...» لا يَسْتَطِيعون تَصَوُّرَ الْمَنْزِلِ . فَعَلَيْكَ أَنْ تَقولَ لَهُم : «لَقَد رَأَيتُ منزلاً بمائة أَلْف فرنك . عِنْدَئِذٍ يصِيحُون : « ما أَرْوَعَه ! » . وعَلى ذلك لو قُلْتَ لَهُم : « إنَّ الدَّليلَ عَلى وُجُودِ الأَميرِ الصَّغِيرِ هوأنه كَان جَذَّاباً ، وكانَ يَضْحَكُ ، وكان يُريدُ خَرُوفاً ،

فَعِنْدما يُريدُ الإِنْسانُ خَرُوفاً فهذا دَلِيلٌ على أَنَّه مَوْجُود ، فإِنَّهم يَهُزُّون أَكْتافَهُم تَهَكُّمًا ، ويُعَامِلونَكَ عَلى أَنَّك طِفْل . ولكنَّكَ إِن قُلْتَ لَهُم : « إِنَّ الكوكبَ الَّذى أَتى مِنْه الأَميرُ الصغيرُ هوالسَّيارة ب ٦١٢ فَعِنْدَئِذٍ يَقْتَنِعونَ ويُعْفُونَك من أَسْئِلَتِهِم . وكَذلك هُمْ ، فَلا يَجِبُ أَنْ نَتَحَامَلَ عَلَيْهم ، ويَجِبُ على الأَطْفال أَنْ يكَونوا وَاسِعِى الرحْمَةِ بالْكِبار .

أَمَّا نَحْنُ ، الَّذين نَفْهمُ الْحَياة ، فإِنَّنا بالتَّأْكيد نَسْخَرُ من الأَرْقام ، ولَقَد وَدِدْتُ لَوْ بَدَأْتُ هذه القصة على طَرِيقَة حِكايات الجِنِّيَّات ، ودِدْتُ لَوْ قُلْتُ : « ذاتَ مَرَّة ، كان هُناك أَميرٌ صَغِيرٌ يَسْكُن كَوْكباً لايَكادُ يَكْبُرُه ، وكان فى حاجَةٍ إِلى صَدِيقٍ . . . » وقَدْ يَبْدو هذا أَوْقَعَ كَثِيرًا لأُولئك الَّذين يَفْهَمُون الْحَياة .

ذلك أَنَّنى لا أُريدُ لِكِتابى أَنْ يُقْرأَ باسْتِخفاف . إِننى أَشْعُرُ بِفَيْضٍ من الْحُزْن عند رِوَاية هذه الذكريات . فلقد مَضتْ سِتٌّ سنواتٍ منذُ أَنْ ذَهَبَ صَديقى بخروفه . وإذ أُحَاوِل هنا أَن أَصِفَه ، فذلك كَىْ لا أَنْساه ؛ فَمِنَ المُؤلِم نِسْيانُ الصديق . وإِن النَّاسَ كلَّهُم لَمْ يكُنْ لهم صَدِيق . وفى استطاعَتى أَن أُصْبِح مِثْل الكبار الذين لا يَهْتَمُّون إلا بالأَرْقام . ومنْ أَجْلِ ذلك أَيضاً اشْتَرَيْتُ صُنْدوق أَلْوانٍ وأَقلاماً . إنه لَمِنَ الْعَسيرِ أَن يَعُودَ المرءُ إِلى الرَّسم فى مِثْل سِنِّى ، عندما لا يَكون قَد قام بِأَيَّةِ مُحاوَلاتٍ

سِوى تِلْكَ التى تُصَوِّرُ الْبُوا مفتوحاً أو مقفلاً ، والتى حاولها فى سن السادسة . ولَسَوْفَ أُحاوِلُ بِكُلِّ تَأْكيد ، أن تَكونَ صُوَرى مُطابِقَةً قَدْرَ الْمُسْتطاع ، ومع ذلك فإننى لَسْتُ واثقاً كُلَّ الثقة من التوفيق . فَرَسْمٌ يَتَّفق ، وآخر لا يطابقُ الْبَتَّة. فإن الطولَ يَخْدَعُنى بَعْضَ الشىء . فَهُنا يبدو الأَمير ضخماً لِلْغاية ، وهناك يكونُ صغيراً لِلْغاية . وإننى أَتَرَدَّدُ كذلك أمامَ لَوْنِ مَلْبَسِه . وبذلك فإنَّنى أَتَلَمَّسُ بَيْنَ بَيْنَ ، بِشَكْلٍ وَسَط . وفَضْلاً عَنْ ذلك فإنَّ صديقى لم يَكُنْ يُعْطى تَوْضِيحاتٍ على الإِطْلاق. ولَعَلَّه ظَنَّنى مِثْلَه . ولكنَّنى مَعَ الأَسَف لا أُجيدُ رُؤْيَةَ الْخِرافِ من خِلال الصَّناديق ، فَلَعَلِّى أشْبِه الْكِبارَ قَليلاً . ولا بُدَّ أَننى شِخْت .

(٥)



وفى كُلِّ يَوم كُنْتُ أَعْرِف جَدِيدًا عَنِ الْكوكب ، وَعَنِ الرَّحيل وعَنْ الرِّحْلَة. وكان هذا يَأْتى على مَهل ، حَسْبَ هَوَى الْخَواطِر. وبهذِهِ الطَّريقَةِ عَرَفْتُ فى الْيَوم الثَّالِثِ مَأْساةَ أَشْجارِ الباء وباب . وفى هذه الْمَرَّة أَيْضاً كان الْفَضْلُ يَرْجِعُ إلى الْخروفِ ، فَعَلى حِين



غِرَّة ، سَأَلنى الأَميرُ الصّغيرُ ، وكَأَنَّ شكًّا خَطِيرًا قَدْ تملَّكَه :

ـ إنه من المُؤَكَّد ، أليس كذلك ، أن الْخِرافَ تأْكُل الشُّجَيْرات ؟

ـ نعم ، هذا صَحِيح .

ـ أواه ! ، أنا مَسْرور !

ولم أُدْرِكْ لِماذا كان أَكْلُ الْخِرافِ للشجَيْراتِ مُهِمًّا بِهذا الْقَدْر. ولكنَّ الأَميرَ الصَّغيرَ أَضافَ قائلا : وبناءً على ذلك فإنَّها تأْكُلُ الباء وباب أَيْضاً ؟ فَوَجَّهْتُ نَظَرَ الأَميرِ الصَّغيرِ إلى أَنَّ الباء وباب لَيْسَت شُجَيْراتٍ

وإنما هيَ أَشْجارٌ ضَخْمَةٌ مثلَ الكنائِس ، وأَنَّهُ لو اصْطَحَبَ معه قَطِيعاً كامِلاً من الفِيَلَة ـ فإنّ هذا القطِيعَ لا يَأْتى على شجرة باء وباب واحِدة .

وأَضْحَكَتْ فِكْرَةُ قَطيع الأَفيالِ الأَميرَ الصغير .

ـ وَلَوَجَبَ وَضْعُها فَوْقَ بَعْض . . . ولكنَّه لاحَظَ بِحِكْمةٍ قائلا :

ـ إن الباء وباب قَبْلَ أَنْ تَكْبُرَ تكونُ صَغيرَة .

ـ فِعْلاً ، ولكنْ لِماذا تُريدُ أَن تَأْكُلَ خِرافُك الباء وباب الصَّغيرة ؟

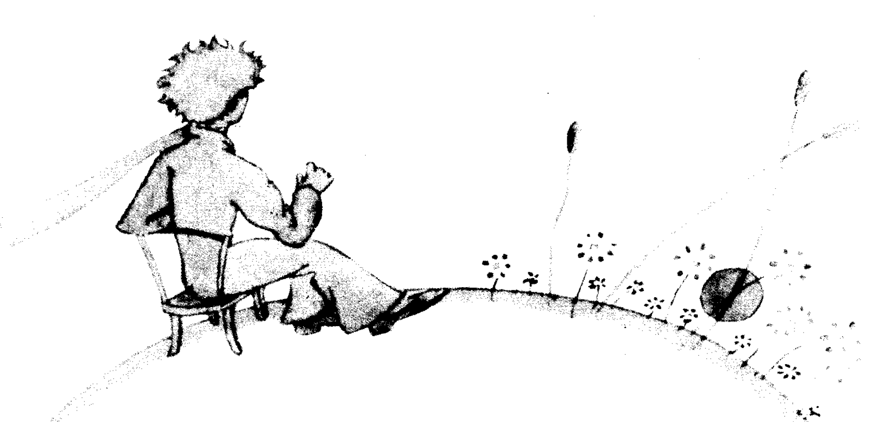
فأَجابنى : « عَجَباً ! » . كما لو كان الأَمرُ بَديهِيًّا . ولقد لَزِمَنى مجهودٌ ذِهْنِيٌّ عَظيمٌ حتَّى أَفْهَمَ بِمُفْرَدِى هذه الْمَسْأَلة .

ففى الْواقِع كان يُوجَدُ على كَوْكَبِ الأَميرِ الصَّغيرِ ، كما هو الْحال عَلَى الكواكبِ الأُخْرى ، عُشْبٌ طَيِّبٌ وعُشْبٌ خَبيثٌ. ونَتيجةً لذلك ، بُذُورٌ طَيِّبَةٌ لِعُشْبٍ طَيِّبٍ ، وبذورٌ خبيثةٌ لعشبٍ خَبيث. ولكنَّ البذورَ لا تُرى. فَهى تَظَلُّ مُهْمَلَةً فى جَوْفِ الأَرْض حتى يَتَراءَى لِإِحْداها أَنْ تَسْتَيْقِظ ، وعِندَئِذ تَنْمُو ثُمَّ تُنْبتُ فى بادِئَ الأَمْرِ ، غُصْناً صغيرًا جَذَّاباً لا يُضِير ، تُنْبِتُه بَطيئاً تجاه الشمس .

فإذا كان غُصْنَ فِجْلٍ أَو شُجَيْرَةَ وَرْدٍ أَمْكَنَ أَنْ نَدَعَهُ يَنْمو كما يَشاءُ ، أَمَّا إذا كان نباتاً خَبيثاً ، وَجَبَ اجْتِثاثُه حالما عُرِف بِأَسْرَع ما يُمْكِن . وعلى كوكب الأَميرِ الصغيرِ توجدُ بذورٌ فظيعة . . هى بُذور



أشجار الباء وباب



الباء وباب، فقد غُصَّت بها أَرْض الكوكبِ ، ولا يمكنُ التَّخَلُّصُ من شَجَرَة الباء وباب إذا عَرَفْناها بعد فواتِ الأَوان . إنها تَشْغَل الكوكب كُلَّه وتَتَخَلَّلُه بِجُذورِها . وعنْدما يَكونُ الْكوكبُ صَغيرًا لِلْغاية ، وتكونُ الباء وبابات كثيرة فإنَّها تُفَجِّرُه . وَفيما بَعْد ، قالَ لى الأَميرُ الصّغير : « إنها مَسْأَلَةُ نِظام ، فعندما يَفْرغُ الْمَرْءُ من زينَةِ الصَّباح ، وَجَبَ عَلَيْه أَن يُؤَدِّى زِينَة الْكوكبِ بعِناية ، ويَلْتَزِمَ بانْتِظام بِنَزْع الباء وباب بِمُجَرَّدِ تمييزها من شُجَيْراتِ الْوَرْد الَّتى تُشْبِهُها كَثِيرًا عِنْدما تكونُ غَضَّة . إنها عَمَلِيَّةٌ مُمِلَّةٌ إلى حَدٍّ كَبير ، ولكنَّها بَسِيطَة جدًّا .

وذاتَ يومٍ أَشارَ عَلَىَّ أَنْ أَعْكفَ على إِخْراج رَسْمٍ جَميل ، حَتَّى أَسْتَطِيعَ تَوْصيلَ هذا إلى رُؤُوس الصِّغار عِنْدِى . كان يقولُ لى : « إذا

سافَرُوا يَوْماً فإِنَّ هذا يُمْكِنُ أَن يُفيدَهُم . قد لا تكونُ هناك فى بَعض الأَحْيان عَواقِبُ وَخِيمَة من جَرَّاءِ إِرْجاءِ الْعَمَلِ إلى ما بَعْد ، أَما فى حَالَةِ الباء وباب فإنها المُصِيبةُ دائماً . إننى أَعْرِفُ كوكباً يَسْكُنُه كَسُول أَهْمَلَ ثَلاثَ باء وبابات . . .

وعَلى ضَوْءِ بَيَانات الأَميرِ الصّغير ، رَسَمْتُ ذلك الْكَوكب . وأنا لا أُحِبُّ إطلاقاً أن أتخذَ لَهْجَةَ النَّاصح ؛ ولكن الْجَهْلَ بِخُطوَرة الباء وبابات ، والْمَخاطِرَ التى يَلْقَاها الضّال فى كَوْكبٍ سَيَّار ، بَلَغَتْ من الجَسامَةِ حَدًّا جَعَلَنِى أَسْتَثْنى فى تَحَفُّظى فَأَقول : « أَيّها الصِّغار تَنَبَّهُوا للباء وبابات » .

ولَقَد اشْتَغَلْتُ فى ذلك الرَّسْم كَثيرًا ، وذلك كَىْ أُحِيطَ أَصْدِقائى عِلْماً بالْخَطَر الذى يَتَهَدَّدُهُم مِثْلى مُنْذ زَمَنٍ بَعِيدٍ ، ولا يُدْرِكُونَه ، وإن الدَّرْس الذى أَعْطَيْتُه يَسْتأْهِل الْجهْد . وقَدْ تَتَساءَلُون : لماذا لا يُوجَد فى هَذا الْكِتاب رُسُوماتٌ أخرى مَهُولَةٌ ؟ والْجَواب بَسيطٌ للغاية : لَقَدْ حاوَلْت ذلك ، ولٰكنَّنى لَمْ أُوفق ، فَعِنْدما رَسَمْتُ الباء وبابات كُنْتُ مَدْفُوعاً بِشُعُور الضَّرورَةِ الْعاجِلَة .

(٦)

آه أَيُّها الأَميرُ الصَّغيرُ ! إننى بذلِك أَكونُ قَدْ فَهِمْتُ شَيْئاً فَشَيْئاً

حَياتَك القصيرة الْكَئِيبَة ، فقد ظَلَلْتَ فترةً طويلةً لا يُسَلِّيكَ إلاجَمالُ غُروبِ الشَّمْس، ولقد أَدْرَكْتُ هذا البَيَان الجَديدَ في اليَوْم الرَّابع ، عندما قُلْتَ لى :

– لَشَدَّ ما أَعْشقُ غُروبَ الشَّمس ! هَيَّا بِنا نَشْهَد غُروباً للشَّمس

– ولكن عَلَيْنا بالانْتِظار.

– انْتِظار مَاذا ؟

– انْتِظار الشَّمس حَتَّى تَغْرُب .

ولقد بَدَتْ عَلَيْكَ فى بادِئِ الأَمْرِ دَهْشَةٌ بالِغَةٌ ، ثُمَّ ضَحِكْتَ مِنْ نَفْسِك ، وبَعْدَ ذلك قُلْتَ لى :

– أنا أَعْتَقِدُ أَنَّنى دائماً فى بَيْتى .

فِعْلاً .فَعِنْدما يكونُ الْوَقْتُ ظُهْرًا فى الولايات المتَّحِدة ؛ فإِنَّ الشَّمْس، وكُلُّنَا يعلم ذلك ، تَغْرُبُ فَوْقَ فَرَنْسا ، وقَد يَكْفِى الذَّهابُ إلى فَرَنْسا فى دَقِيقَةٍ لِكَىْ نَشْهَدَ غُروب الشمس . وفَرنسا لسوءِ الحظ شَدِيدَةُ الْبُعْد . ولٰكِنَّه ، فَوْقَ كوكبك الصغير ، كَانَ يَكْفِى أن تَجُرَّ كُرْسِيّكَ بِضْعَ خُطواتٍ لكى تَشْهَدَ الشَّفَق ،كُلَّما طَابَ لَكَ ذَلِك .

– ذاتَ يوم شاهَدْتُ الشَّمس تَغْرُبُ أَرْبعاً وأَرْبَعين مرة .

ثم أَضَفتَ بَعْدَ ذلك بفَتْرةٍ وَجِيزَة .

ـ كما تَعْلَم ... عندما يكون المرءُ مُكْتَئِباً فإنَّه يُحِبُّ غُروبَ الشَّمْس .

ـ ويَوْمَ الأَرْبَع والأَربعين مَرَّة ، أَكُنْتَ إِذَن مُكْتَئباً ؟

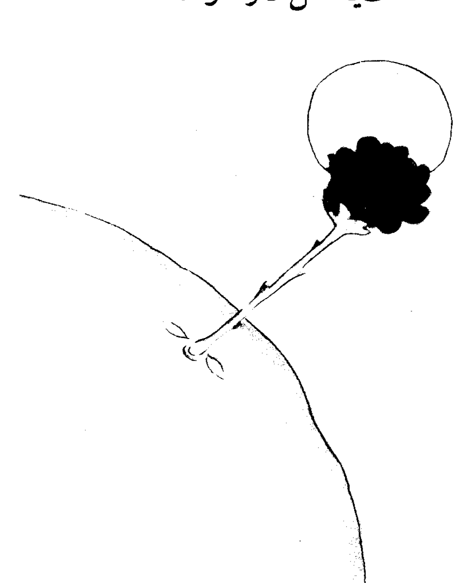
ولكنَّ الأَميرَ الصغيرَ لَمْ يُجِبْ .

(٧)

وفى الْيَوْم الخامِس ، ودائماً بِفَضْلِ الْخَرُوفِ ، تَكَشَّفَ لى هذا السِّرُّ من حَياةِ الأَميرِ الصغيرِ . فَلَقد سَأَلَنى فَجْأَةً ودونَما تَقْدِيم ، كما لَو كان السُّؤالُ ثَمَرَةَ مُشْكلةٍ طالَما تَأَمَّلها فى صَمْتٍ .

ـ الْخَروف ، إِذا كان يَأْكُل الشُّجَيْراتِ ، فإِنه كذلك يأْكلُ الأَزْهار ؟

ـ الخروفُ يأْكلُ كُلَّ ما يُصادِفُه .



ـ حَتَّى الأَزْهَار ذَات الأَشْواك ؟

ـ أَجل . حتى الأَزهار ذات الأَشواك ؟

ـ إِذن ، فَما فائِدَةُ الأَشْواك ؟

لَمْ أَكنْ أَدْرى ، وكنتُ ساعَتَها مَشغُولاً بِمُحاوَلَةِ فَكِّ صامولَةٍ مضْغوطةٍ من المُحَرِّك . كنْتُ مَهْموماً ، لأَنَّ الْعَطَبَ رَاحَ يَبْدُو لِى جَسِيماً ، وماءَ الشُّرْبِ الذى

كادَ يَنْفَدُ ، جَعَلَنى أُشْفِقُ مِنْ تَدَهْوُرِ الْمَوْقِف.

ـ الأشواك . فيمَ تُفيد ؟ والأميرُ الصغيرُ لا يَنْزِلُ أبدًا عَنْ سُؤَالٍ يُوَجِّهه ، أما أنا فَكُنْتُ ساخِطاً بِسبَبِ الصَّامولة ، فأجبتُ كيْفَمَا اتُّفق :

ـ الأشواك ، لاتُغْنى شيئاً ، إنَّها مُجَرَّدُ شَراسَةٍ من جانب الأزْهار

ـ أوه !

وبَعْد فَتْرةِ صَمْتٍ ، فاجأنى بِشَىءٍ مِنَ الْحَفِيظَةِ :

ـ أنا لا أُصَدِّقُك ، فالأزهارُ ضَعيفَةٌ ساذجة ، وهى تحافظُ على سَلامَتِها بِقَدْرِ اسْتِطاعَتِها . إنها تُخيفُ بأشْواكها .

وَلمْ أُجِبْ بِشىءٍ . وفى تلكَ اللَّحْظَةِ كُنْتُ أقولُ فى نَفْسى :
« إذا اسْتمَرَّتِ الصَّامولَةُ تُقاوِم ، فإننى سَأُطَيِّرُها بِضَرْبةٍ مِنَ الْمِدَقّ ».

ومِنْ جَديد ، شَتَّتَ الأميرُ الصَّغيرُ أفْكارى :

ـ وأنتَ تَعْتَقِدُ أنَّ الأزهار . . .

ـ كلا ! كلا ! أنا لا أعتقدُ شيئاً ، لقد أجَبْتُك كيْفَما اتَّفق ، وأنا إنَّما أهْتَمُّ بالْمَسائِلِ الجادَّة . وَنَظَر إلىَّ مَذْهُولاً :

ـ بالْمَسائل الْجَادَّة ؟

وكان ينظرُ إلىَّ والمِدَقُّ فى يَدِى ، وأصابعِى سَوْداءُ بِفِعْلِ الشَّحْم ، وقد مِلْتُ على شَىْءٍ بَدَا لَهُ شَدِيدَ الْقُبْح .

ـ إنَّكَ تَتَحَدَّثُ كالكبار .

وقَدْ أَخْجَلَنى هذا قليلاً ؛ لكنه أَضافَ ، وكان قاسياً :

ـ أَنتَ لا تَميزُ شَيْئاً ، إنك تَخْلِطُ بَيْن الأَشْيَاء . كان فعلاً ساخِطًا كُلَّ السُّخْط . وكان يُطَوِّحُ فى الهواء شَعْرًا ذَهَبِيًّا خَالِصاً .

ـ أنا أَعرف كوكباً فيه سَيِّدٌ قُرْمزى اللون ، لم يَنْشَقْ أَبَدًا زَهْرة ، ولم يَتَأَمَّل أبدًا نَجْماً ، ولم يحب أبدًا إنساناً ، ولم يَقُم بِشىء غَيْر عَمَليَّاتٍ فى الْجَمْع ، وهو طِيلَةَ يَوْمِه ، يُكَرِّرُ مِثْلَك :

« أَنا رَجُلٌ جادّ . أَنا رَجُلٌ جَادّ » ولقد مَلأَهُ هذا كِبْرًا ؛ ولكنَّه لَيْس بإنسان ، إنه بِدَالُ سرعة .

ـ ماذا ؟

ـ بِدَالُ سرعة .

وبَدَا الأَميرُ الصغيرُ فى تِلْكَ اللَّحْظَةِ شاحِباً لِلْغَايةِ مِن فَرْطِ الْغَضَب :

ـ مُنْذ مَلايين السِّنين ، والأَزهارُ تُنْبِتُ أَشْواكاً ، ومنذ ملايين السنين ، والخراف تَأْكُلُ الأَزْهارَ ، رَغْماً عَنْ ذلك . أَفلَيْسَ مهمًّا أَنْ نَسْعَى لإدراكِ السَّبَبِ الذى جَعَلَها تَتَجَشَّمُ كُلَّ هذا الْعَناء لكى تُنْتِجَ لِنَفْسِها أَشْواكاً لا تُفِيدُ فى شَىْء على الإطلاق ؟

أَلا تعتبرها خطيرةً ، تلكَ الْحَرْبَ الدائرةَ بَيْنَ الْخراف والأَزهار ؟

أَوَليس هذا أهمَّ وأَخْطَرَ من عَمَليات الجَمْع التى يُمارسُها سَيِّد أَحْمَر ضَخْم ؟ وإذا كنتُ أنا أَعرفُ وَرْدَةً لامَثِيل لها فى الوجود ، ولا توجد فى أَيِّ مكانٍ آخرغير كوكبى ، وأَعرفُ أَنَّ خَروفاً صَغِيراً يستطيعُ أن يُزِيلَها ذاتَ صباح ،هكذا بِضَربة واحدة ، دونَ أن يُقَدِّرَ لِما يَعْمَلُ حِساباً ، فهذا لاتعتبره مهمًّا!

وخجلَ ، ثم استطرد قائلاً :

« لَوْ أَنَّ إِنْساناً كان يُحبُّ وَرْدَةً لا تُوجَدُ إلا على نَجْم واحِدٍ من بين ملايين ملايين النُّجوم ، فَحَسْبُهُ لِكَىْ يكون سَعِيداً عِنْدمايَتَأَمَّلُها أَنْ يَقُول لِنَفْسِه :

« وَرْدَتى هناكَ فى مكانٍ ما ... أَمَّا إذا أَكَلَ الْخَروفُ الْوَرْدَة فهذا يَعْنى بالنِّسبة له كما لَوْ أَنَّ كُلَّ النُّجُوم خَبَتْ فَجْأَة . وهذا لا تَعْتَبِرهُ مهمًّا ؟ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزيد ، وفجأَة انفجريَنْتَحِب . وكان اللَّيل قَدْ هَبَط ، فَتَركتُ أَدَواتى ، وسَخِرْتُ من مِطْرَقتى وصامُولَتى ومِنَ الظَّمَأ ومن الْمَوْت ، فَقَدْ كان هناك على أَحَدِ النُّجوم ،

أَحَدِ الكواكبِ ، كَوْكبي ، الأَرْض ، أَميرٌ صغيرٌ في حاجَة لِلْعَزاءِ. فَأَخَذْتُه بين يَدَيَّ أُهَدْهِدُه وأَقُولُ له :

« إن الْوَرْدَةَ التي تَعْشقُها لا خطَرَ عَلَيْها ...

سأَرسمُ كِمامَةً لِخَروفك .. وسأَرسم لَكَ دِرْعاً لِوردتك . . . و. . . ولَمْ أَدْرِ ماذا أَقول ، كنت أَشعر بحماقتي ، ولم أَدر كيْف أَبْلُغه ولا أَيْنَ أَلْحَقُ به ، فما أَشَدَّ غُموضَه ، بَلَدالْعَبَرات !

(٨)

وسُرْعان ما ازْدادَتْ معرِفَتي لِهذه الوَرْدَة . كان يُوجَدُ باسْتِمرار ، عَلىَ كَوكَبِ الأَميرِ الصَّغيرِ ، زَهراتٌ بسَيطَةٌ ، مُزْدانَةٌ بِصَفٍّ واحِدٍ مِنَ الأَوْراقِ ، لا تَسْتَقِرُّ بحال في مِكان ، ولا تُقْلِقُ أَحَدًا ، كانتْ تَظْهَرُ ذاتَ صباحٍ وسْطَ العُشْبِ ، وبَعْد ذلك تَذْوى في المَساءِ . أَمَّا تِلْك الورْدَة فَقَد نَبَتَتْ من حَبَّة لا يَدْرِى أَحدٌ من أَيْنَ جُلِبَتْ ، وتَعَهَّدَ الأَميرُ الصغيرُ عَنْ كثبٍ هذا الغصن الذى لَمْ يَكُنْ لِيُشْبِهَ الأَغصانَ الأُخْرى. فربَّما كانَ نوعاً جَدِيدًا من الباء وباب . ولكنَّ الشُّجَيْرَةَ ما لَبِثَتْ أَن كَفَّتْ عن النُّمُو ، وراحَتْ تُكَوِّن وَرْدَة . أَما الأَميرُ الصغيرُ ، الذى كان يَشْهد تَكْوينَ بُرْعُم ضَخْم ، فكان يَشْعُرُ أَنَّ رُؤى عَجيبةً تَخرُجُ مِنه . وأَمَّا الوَرْدَة ، فكَانَتْ لا تَفْتَأُ تُعِدُّ نَفْسَها لِتَكون جَميلةً ، في خِباءِ غُرْفَتِها الخضراء .

فكانتْ تَنْتقى ألوانها بعناية ، وتَتَسَرْبَل على مَهَل ، وتُحْكِمُ ضَبْطَ أوْرَاقِها واحِدةً واحِدةً . فلم تكُنْ لِترْضَى أنْ تخْرُجَ مُغَضَّنَةً مِثْلَ شَقائِقِ النُّعْمان ، لم تكُنْ تريدُ أن تظْهَرَ إلاَّ فى تَمام ِجَمالِها . إيه أَجل !

كانَتْ مُعْجبةً بنفسها أيَّما إعْجاب . وهكذا اسْتَغْرَقَتْ زينَتُها الغامِضَةُ أياماً وأياماً. وبعد ، ها هى ذى ذات صباح ، عِنْدَ شُرُوق الشَّمْسِ تماماً ، تَظْهَر .

وقالَت مُتَثَائِبَةً ، وهى التى عَمِلَتْ بِعِنايَةٍ بالِغَة :

ــ آه ! إننى مُسْتَيْقِظَةٌ تَوًّا ، فَعَفْوًا أننى لَمْ أُمَشِّطْ بَعْدُ شَعْرى .

وعنَدئِذٍ لَمْ يَسْتَطِع ِالأميرُ الصغيرُ أنْ يَكْتُمَ إعْجَابَه :

ــ كَمْ أَنْتِ جَمِيلة ! فَأَجابَتِ الْوَرْدَةُ بِرِقَّة :

ــ أليْسَ كذلك ؟ لَقَدْ وُلِدْتُ مَعَ الشَّمْسِ فى وَقْتٍ واحِد . وأَدركَ الأميرُ الصغيرُ أنها لَيْسَتْ جد متواضِعَة ، ولكنها مُثِيرَةٌ بمَكان .

وَأَرْدَفَت على الفَوْر :

ــ إنها على ما أعْتَقِد ساعةُ الإفطار . فَهَلاَّ تَعَطَّفْتَ وفكَّرتَ فى أَمْرى. وبكُلِّ حَيْرة ، بَحَثَ الأميرُ الصغيرُ عن وعاءِ رش الماءِ العذب ، وقَدَّمَ الطَّعَام للوَرْدة . . . وهكذا ، سَرْعان ما عَذَّبته بغرورها الذى يتَّسِم بالحساسية . ففى ذات يوم على سَبِيل المثال ، وهى فى غمار



حَدِيثِها عَنْ شَوْكاتِها الأَرْبَع ، قَالَتْ للأَمير الصَّغير :

ـ مِنَ المُحْتَمل أن تـأْتِيَ النُّمُورُ بمَخالِبِها . فَعارَضَ الأميرُ الصغيرُ قائلاً :ـ ليس ثَمَّةَ نُمُورعلى كوكبي ، ثم إنَّ النمور لاتـأْكُلُ العشب .

فرَدَّتْ الوَرْدَة بِرِقَّة .

ـ أنا لَسْتُ عُشْباً !

ـ عَفْوًا !

ـ أنا لا أَخشى من النُّمورشَيْئاً .

ولكننى أَخْشَى تيَّارات الهواءِ ، ألا يُوجد عِنْدَك حاجزُ ريح. وفكَّرَ الأميرُ الصَّغير : « تَخْشَى تيارات الْهواء . . . كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَنَّب النَّباتُ هذا . . . إن هذه الزهرة مُعَقَّدَةٌ . . . »

فى الْمَساءِ سَوْفَ تَضَعُنى تَحْتَ الغِطاءِ الزجاجى . فالجوعندك شديدُ البرودَة ، والمقامُ ليسَ كما يُرام . هناك مِنْ حَيث أَتَيْت . . . ولكنها توقفت ، فقد أتت على شكل حَبَّة. ولَمْ تَسْتَطِعْ أَن تُدْرِكَ شيئاً عَنِ الْعَوالم الأُخرى .

ولَمَّا كان قد أَخْجَلَها أَنْ تُفاجَأ وهى تُعِدُّ كِذْبَةً ساذِجَةً كتِلْك ، فقد سَعَلَتْ مَرَّتَيْن أَوْ ثلاث مرات ؛ لكى تَأْخُذَ الأَميرَ الصغيرَ بِخَطَئِهِ .

ـ حَاجِزُ الريح هذا ؟

ـ كنتُ فى طَرِيقى للبَحْثِ عَنْه ، ولكنك كُنْتِ تُحَدِّثِينَنى. وعندَئِذٍ اصْطَنَعَت السعال لكى تُوقِعَ علَيه اللَّوْم .

وَهكذا ، فعَلى الرَّغْم منْ نُبْل مَقْصِدِهِ ، فإنَّ الأَميرَ الصَّغيرَ سَرْعان ماراوَدَه الشَّكُّ فيها ، لَقَدْ أخَذَ مأْخَذَ الجِدِّ كَلِماتٍ لا أَهَمِّيَةَ لَها ، وأَصْبَحَ بائِساً.

فَقَدْ أَسَرَّ إِلَىَّ ذَاتَ يَوْم :

« ما كان يَجِبُ عَلَىَّ أَنْ أَسْمَعَ لها . فَلاَ يَجِبُ أَن نَسْمَعَ للْوُرُود إِطْلاَقاً . يَجب أَنْ نَتَأَمَّلها ونَنْشَقَها . كانَتْ وَرْدَتِى تُعَطِّرُ كَوْكبى ،

ولكننى لم أعرف كيف أتمتع بها . فإنَّ قِصَّةَ الْمَخالِبِ تِلْك ، الَّتى ضايَقَتْنى كثيرًا ، لا بُدَّ أَنَّنى تـأَثَّرْتُ بها » . وأَسَرَّ إلىَّ كذلك :

« إننى لا أفهمُ شَيْئاً على الاطِلاق . كان يَجِبُ علىَّ أن أَحْكُمَ عَلَيْها بِناءً على الأَفْعال لا الأَقوال . كانَتْ تُعَطِّرنى وتُنيرُ لى ، فَما كانَ يَجْدُرُ بى أن أَهْرُبَ مِنْها أَبَدًا . كان يَجِبُ عَلَىَّ أَنْ أدْرِكَ حَنَانَها وَرَاءَ خِدَعِها الواهِيَة ، فالورودُ مُتَنَاقِضَةٌ عَلَى هذا النَّحْو ، ولكنَّنى كنتُ صغِيرًا جِدًّا حتى أَعْرِف كَيْفَ أُحِبُّها . »

(٩)

أَعْتَقِدُ أنه انْتَهَزَ فى فَرارِهِ فُرْصَةَ رَحِيلِ بَعْضِ الطُّيورِ البرِّيَّة ، ففى صباح الرحيل،نَظَّم كَوْكبَه أَيَّما تَنْظِيم ، فاعْتَنى بِجَرْدِ بَرَاكينِه العامِلَة ، وكان لَدَيْه مِنْها اثنانَ ، وكان هذا مُناسِباً جِدًّا لِتَسْخِينِ طعام الإِفْطار فى الصباح ، وكان لَدَيْه كذلك بُرْكانٌ خَامِد ، ولكنْ على حد تعبيره ، «لا نَعْرِفُ البَتَّة» وَعَلى ذَلِك فَقَدْ جَرَدَ بالْمِثْلِ البركان الخامِدَ . فعندما نُحْسِنُ جَرْدَ البراكين ، فإنها تَلْتَهِبُ عَلى مَهل وبانْتظِام دُونَمَا انْفِجار ، فالانفِجارات البُرْكانِيَّة شَبِيهَةٌ بِنِيران المِدْفأَة. ومما هو بديهىٌّ أَنَّنا عَلَى الأَرْضِ صِغَارٌ بِمكان حَتَّى نَجْرُدَ بَراكِيننا ،لِذلك فَهِى تَجْلِبُ لَنا مَتاعِب جَمَّة .

وكذلك اجْتَثَّ الأَميرُ الصغِيرُ ، بشىْءٍ من الضِّيق ، آخِرَ مَنْبوتاتِ





الباء وباب. فقَدْ كَان يُؤْمِن بِعَدَم ِ وجوبِ الْعَوْدة ؛ ولكنَّ كُلَّ تِلْكَ الأَعْمال المَأْلوفَة بدَتْ لَهُ في ذلِك الصَّباح غَايَةً في الظُّرْفِ. وعندماسَقى الوَرَدَة لآخِر مَرَّة ، وتَهيَّأَ لِيَحْمِيَها تَحْتَ الإِناءِ الزُّجاجي ، أَحَسَّ بالرغْبَة في الْبُكاءِ.

قال لِلْوَرَدَة :

ـ وداعاً !

فَسَعَلَت الورْدَة . ولم يَكُنْ ذلك بِسَبَبِ الزُّكام ؛ وأَخِيرًا قالَتْ :

ـ « كنتُ بَلْهاءَ ، فاغْفِرْ لي . وحاوِلْ أَنْ تكونَ سَعِيدًا » . ولقد فوجِئَ

بِعَدَم لَوْمها له ، وَمكَثَ حائِرًا ، والغطاءُ الزُّجاجى فى الْهَواءِ لا يَفْهَمُ مَعْنى لِهذه الرِّقة الهادِئَة.

– أجَلْ! أنا أُحبك ، ولم تَدْرِ أنت شيئاً عن ذلك ، وهذا خطئى ، ولَيْسَ هذا بِذِى أَهَمِّية . ولكنَّكَ أيضاً كُنْتَ أبْلَهَ مثلى . فَحاول أنْ تكون سَعِيدًا . . . دَعْ هذا الإناءَ وشَأْنَه ، فَلَسْتُ بِحاجَةٍ إليه .

– ولكِنَّ الرِّيح . . .

– أنا لَسْتُ مَزْكومَة كماتَرَى . . إنَّ هَواءَ اللَّيْلِ البارِدَ سَيُفِيدُنى . . وأنا وَرْدَة

– ولكنَّ الوحوش . . .

– عَلَىَّ أَنْ أقاسى مِنْ دُودَتَيْنِ أوْثَلاث ، إذا كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ الْفَرَاش ، ويَبْدو أنَّ فى هذا جَمالاً كثيرًا ، وإلاَّ فَمَنْ ذا سَيَزُورُنى؟ سَتَكُونُ أنت بَعِيدًا . أمَّا عَن الْوُحوش الضَّخْمَة فأَنا لا أَخْشى شَيْئاً . إن لى مَخالِبى .

وكانَتْ تَعْرِضُ شَوْكَاتِهَا الْأَرْبَع بِسَذَاجة . ثم أَضافت :

– لاتَتَلَكَّأْ هكذا ، فإنَّ هذا يُضايِق . لقد عَزَمْتَ على الرَّحِيل ، فارْحَل .

ذلك لأنَّها لَمْ تَشَأْ أَنْ يَراها تَبْكى ، فَقَدْ كانت وَرْدَةً على قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الْغُرُور .

(١٠)

وَجَدَ نَفْسَه فى مَنْطِقَة السَّيَّارات ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، وعلى ذلك بَدَأ بزِيَارَتِها لِكَىْ يَبْحَثَ فيها عَنْ شَاغِل ،

وكذا لِكَى يَتَعَلَّم - كان يَسْكُن الأُولى مَلِك ، وكان المَلِكُ المُتَسَرْبِلُ فى العَبَاءَة الْحَمْراء وَجِلْدِ القاقِمْ ، مُسْتَقِرًّا فوق عَرْشٍ بَسيط ولكنه مَهِيب ، وَصَاحَ الْمَلِك عِنْدَما لَمَحَ الأَميرَ الصَّغير :

- آه ! ها هوذا أَحد الرَّعايا .

- كَيْفَ استطاع أَنْ يَعْرِفَنِى مَعَ أَنَّه ما رآنى قط ؟ لَمْ يَكُنْ يَدْرى أَنَّ العالَمَ بالنِّسْبة لِلْملوك مُبَسَّطٌ جِدًا ، فَكُلُّ الناس رعايا .

وقال الملكُ ، وكان فَخُورًا أَنْ يُكون مَلِكاً لأَحَد .

- اقْتَرِب كَىْ أَرَاك أَحسن .

وَبَحَثَ الأَميرُ الصغيرُ بِعَيْنَيْه أَين يَجْلس ؛ ولكن العَبَاءَةَ الْفَخْمَة كَانَتْ تَشْغَلُ أَرْضَ الْكَوكب تماماً. ولذلك ظَلَّ واقِفاً ، ولمَّا كانَ مُتْعَباً فَقَدْ تَثَاءَب .

- إنه لَمِمَّا يَتَنافى مَعَ اللِّياقَة أَنْ تَتَثاءَبَ فى حَضْرَة مَلِك .أَنا أَمْنَعُك من ذلك ؛ فأَجاب الأَميرُ الصغيرُ بِكُلِّ اضْطِراب :

- لاأَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْنَعَ نَفْسى من ذلك. فَقَدْ قُمْتُ بِرِحْلَةٍ طَويلَةٍ ولَمْ أَنَمْ.

- إذن فأَنا آمُرُكَ بِأَنْ تَتَثاءَب . فإننى لَمْ أَرَ أَحدًا يَتَثاءَب منذ سنين. إن التثاؤب بالنسبة لى طَرائِف . هَيَّا تَثَاءَب ثانية . هذا أَمر .

وقال الأَميرُ وقَدِ احْمَرَّ خَجَلاً :

- هذا يُخْجِلُنى . لا أَسْتَطيع مُطْلقاً . وارْتَبَكَ قَليلاً ثُمَّ بدا مُغْتاظاً.

ذلك أنَّ الملكَ كان يَتَمَسَّكُ أساساً باحْتِرام سُلْطَتِه . كان لا يَغْفِرُ العِصْيان ، فَقَدْ كان مَلكاً مُطْلَقاً . ولكنَّه لما كان عَلى جانبٍ كبير من الطِّيبَة ، فقد كانَتْ أوامِرُه مَعْقُولَة . وكان يُرَدِّدُ مِرارًا : «إذا أَمَرْتُ قائِدًا أَنْ يَتَحَوَّلَ إلى طَائِرِ بَحْر ، ولَمْ يُطِعِ القائِد ، فَلَيْسَ هذا خَطَأَ الْقائِد ، ولكنَّه خَطَئِي أَنَا» واسْتَعْلَم الأَمير بِحَياء :

ـ هَلْ أَسْتَطِيعُ الْجُلوس ؟

فَأَجاب الْمَلِك وقَدْ طَوَى جانِباً مِنْ عَباءَتِهِ بِعَظَمَة .

ـ أنا آمركَ بالْجلوس .

أَمَّا الأَميرالصغير فكان يَتَعَجَّب . فالكوكب صغِيرٌ إلى حَدٍّ بَعيد . فَفِيمَ يَسْتَطِيع أَنْ يَتَحَكَّمَ الملك .

ـ مولاى . أَسْتَمِيحُك الْمَعْذِرَة فى سُؤال . فَعَجَّلَ الْمَلِكُ قائِلاً :

ـ أنا آمُرُكَ أَنْ تَسْأَلَنى .

ـ مَوْلاى ! ماذا تَحْكُم ؟ فأَجابَ الْمَلكُ بِبَسالة فَائِقَة :

ـ كُلَّ شَىْءٍ . وأَشارَ بحركةٍ حازِمَةٍ إلى كَوْكَبِه والْكَواكِبِ الأُخْرَى والنُّجوم . فَقَال الأَميرُ الصَّغِير :

ـ كُلَّ هذا ؟

فأَجابَ الْمَلك . كُلَّ هذا .

ذلك أنه لَمْ يَكُنْ مَلِكاً مُطْلَقاً فَحسْبُ ؛ بَلْ كان كذلك مَلِكاً عالَمِيًّا .

ـ وهل تُطِيعُكَ النُّجوم ؟

ـ « بِكُلِّ تَـأْكِيد . إنَّها تُطِيعُ على الفَوْر . فـأنا لا أَغْفِر الخروجَ على النِّظام » . ولقد أَذْهلَتْ مِثْلُ هذه السُّلْطَةِ الأَميرَ الصَّغِير .

لَوْ كانت فى حوْزَته هو لاسْتَطاع أن يشْهَد فى نفسِ اليوْم ، لَيْس فقَطْ أربعاً وأَرْبعين ، بل اثْنَين وسبْعين ، بل مائة أو مائتى غُروبِ شَمْس ، دونَ أنْ يتجشَّم تَحْويل كُرْسِيِّه . ولمَّا كان يشْعُرُ بِشَىءٍ مِن الْحُزْن لِذِكْرى كَوْكبه الصَّغِير الْمهْجُور فقَدْ تَشَجَّع والْتَمَس فَضْلاً من الملك :



ـ أَودُّ أَنْ أَشْهَد غُروباً للشمس . . أَدخل السرور إلى نفسى ... مُرِ الشَّمْس أَنْ تَغْرُب !

ـ لو أَنى أمرْتُ قائدًا أَن يطير مِنْ ورْدةٍ إلى أخرى كما تَفْعلُ الْفَراشة ، أَوأَنْ يكْتُب مأْساةً ، أَو أَنْ يتحوَّل إلى طائِر بحْر ، ولم ينفذ القائدُ الأَمْر الصادِر ، فَأَيُّنا ، أَنا أَم هو ، الْمُخْطئ ؟



فقال الأَميرُ بِحزمٍ :

ـ إنَّه أَنْت . فاسْتَطَرد الْملِكُ :

ـ فِعْلاً . يَجِبُ أَن نَطْلُب من كلٍّ ما يُمْكِن أَن يُعْطِيَه. إن السُّلْطة تَرتكِزُ أَساساً على العقْل . فإذا أَمرْتَ شَعْبكَ أَن يذهب فَيُلْقِى بنَفْسه فى البحر ، فَإِنه يقومُ بالثَّورة . إنَّ مِنْ حقِّى أَن أَطلب الطَّاعة ، لأَن أَوامرى معْقُولَة .

وذَكَر الأَميرُ الصغيرُ الذى ما كان لِينْسَى قَط سُؤالاً وجَّهَهُ مرة :

ـ وماذا عنْ غُروب الشمس ؟

ـ غُروب الشمس؟ ستناله فَأَنا سأَطْلُبه ؛ ولكنَّنى أَنْتَظِرحتَّى تُصْبِح الظُّروف مُلائِمةً .

فاسْتَفْسر الأَميرُ الصغيرُ :

– ومتى يكونُ ذلك؟ فأَجاب الْملكُ الذى كان يُطالِعُ تَقْويماً ضَخْماً.

– هم .! هم .! سيكونُ ذلك تَقْريباً ... تقريباً .. سيكون ذلك هذا المساء ، فى حوالى السابعة وأَربعين دقيقة . ولسوف تَرى كَيْف أُطاع .

وتَثَاءَب الأَميرُ الصغير ، وأَسِف على غُروبِ الشمسِ الذى فَاتَه . ثم إنه كان قَدْ بدأَ يضيقُ بعْضَ الشيء . فقال للملك .

– ليس هناك ما أَقوم به هُنا . إِنِّى راحِل .

فردَّ الملكُ الذى كان فَخُورًا أَنْ يكون لديه أَحد الرعايا :

– لاَ تَرْحل ! لا ترحل ! سأُنَصِّبُك وزيرًا .

– وزيرًا لماذا ؟

– لِلْعدْل .

– ولكن ليس هناك منْ يُحاكَم .

– فقال الملك .

– لا نَدْرِى . فإننى لم أَقُمْ بعْد بالطَّوافِ فى ممْلَكَتى ؛ فأَنا مُسِنٌّ للغاية . وليس لَدىّ مكانٌ لِمرْكَبة . ويُجْهِدُنى الْمسِير .

فَقَال الأَميرُ الذى انْحنى يُلْقِى نَظْرةً ثَانيةً على النَّاحِيَّةِ الأُخْرى من الكوكب :

ـ أوه ! ولكننى قد رأيت أنه ليس هناك أحدٌ على الإطلاق .

ـ إذنْ ستُحاكِمُ نَفْسك . فهذا هو الأَصْعب . إنه لمِن الأَصْعَب أَنْ يُحاكِمَ الْمَرْءُ نَفْسَه من أَنْ يُحاكم الآخرين .

فَلَوْ نَجحْتَ فى الحُكْم على نَفْسِكَ صواباً فَأَنْتَ حكيم حقًّا .

ـ أنا أَسْتَطيعُ أَنْ أَحْكُم على نَفْسى فى أَى مكان .

فَلَيْستْ بى حاجةٌ للسُّكْنى هنا .

ـ هِمْ ! هِمْ ! أَعْتَقِدُ أَنَّ هناك فَأْرًا مُسنًّا فى مكانٍ ما على كَوْكَبى، فأَنا أَسْمعه فى اللَّيْل . سيكون فى مقْدُورِك أَنْ تَحْكُمَ على هذا الفأْر المُسن وتُدِينَه بالموْتِ من وقتٍ لآخر . وبذلك تكون حياته مُعَلَّقَةً بِعَدَالَتِك .

ولكنَّك تَعفوعنْه فى كُلِّ مرَّة لكى تَدَّخِره، فليس هناك غَيْرُ فأْرواحد .

فقال الأَميرُ الصَّغير :

ـ أَنا لا أحبُّ أَنْ أَحْكُم بالموت على أَحد . وأَعْتَقِدُ أَنى ذاهب .

فقال الملك :

ـ كلا !

ولكنَّ الأَمير الصَّغير ، وقد فَرَغَ من اسْتِعْداداته لَمْ يَشَأْ أَنْ يُتْعِبَ الْملِكَ المُسن

ـ إذا كانت جلالتكم تَرْغَبُ فى أَن تطاع حرفيًّا فإنها تستطيعُ



أَن تَأْمُرَنى أَمْرًا معْقولاً ، فَتَسْتَطِيعُ مثَلًا أَن تَأْمُرَنى بالرحيل فى غُضون دقَيقَة واحدة . ويبْدُو لى أَن الظُّروف مُلائِمة .

ولمَّا لم يُجِب الملكُ بِشىءٍ ، فقد تَردَّد الأَميرُ الصغيرُ فى بادئ الأَمر. ثُمَّ شَرع فى الرَّحيل مُتَنَهِّدًا . وحينَئذ بادر الملكُ صائحاً :

- سأَجعل مِنْك سفيرى .

وكانَتْ تَبْدو عليه مَسْحَةٌ عريضَةٌ من السلطان .

قال الأَميرالصغيرُلِنَفْسه أَثناءَالرحلة : إِن شخصيات الكبارِ غَريبةُ الأَطْوار.

(١١)

وكانَ يسْكُنُ الْكَوْكَب الثَّانى مغْرُور .

وما إنْ لَمحَ الأَميرَ الصَّغيرَ مِنْ بعيدٍ حتَّى صاح :

ـ أوه ! أوه ! زِيارةُ مُعْجب .

ذَلِك أنَّه بالنِّسبةِ لِلمَغْرُورِين فإنَّ الآخَرِين مُعْجَبُون .

قال الأَمير :

ـ عِمْ صباحاً ! إن قُبَّعَتَكَ عجِيبة :

ـ هِى للتَّحِيَّة . هى للتَّحِيَّة . عِنْدما يُهَلِّلُون لى . وللأَسف لا أَحد يمُرُّ مِنْ هُنا : فَأَجاب الأَمِيرُ وهُو لا يفْقَهُ شَيْئاً :

ـ أوه ! أَجل !

فأَشار علَيْه الْمغْرورُ قائلا :

ـ اضْرب يديكَ الواحدةَ فى الأُخرى !

وضَرب الأَميرُ الصغيرُ يدَيْه الواحدةَ فى الأُخرى . وهُنا حَيَّاهُ المَغْرور بتواضع رَافِعاً قُبَّعَتَه .

فقال الأَمير فى نفسه :

ـ إن هذا لمَدْعَاةٌ للضَّحِكِ أَكْثَرَ مِنْ زيارة الْملك .

وعادَ يَضْرِبُ يَدَيْهِ الواحدةَ فى الأُخرى . وعاد المغرورُ يُحَيِّى

بِرفْعِ قُبَّعَتَه . وبعد خَمس دقائق من التَّمرين ، ضاقَ الأَميرُ بِرَتابَةِ اللُّعبة . فسأَل قائلاً :

– وماذَا يَجبُ عَمَلُه حَتَّى تَسْقُط القبعة :

ولكنَّ المغْرورَلم يَسْمَعْه . فالمغرورون لا يسمَعُون إلا المَديح . وسأَل قائلا :

– تُرانِى حَقًّا أُعْجِبُكَ كَثِيرًا ؟

– ماذا يَعْنى « يُعْجِب »

– « يُعْجِبُ » يعنى تَعْتَرِفُ أَنِّى أَجْمَلُ مَنْ عَلَى الْكَوكب ، وأَحْسَنهُمْ لِباساً وأَغْناهُمْ وأَذْكاهم .

– ولكنَّكَ وَحِيدٌ عَلى الكوكب .

– هَبْنِى هَذا الْفَضْل . فَلْتُعْجَبْ بِى مَعَ ذلك . فقالَ الأَميرُ رافِعاً كَتِفَيْه .

– إِنِّى أُعْجَبُ بِك . ولكن ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَهُمَّك كَثيرًا فى هذا ؟

وَفَرَّ الأَميرُ الصَّغيرُ وهو يَقُولُ فى نَفْسِهِ بِبَساطَة :

– « قَطعاً إِنَّ شَخْصِيَّاتِ الْكِبارِ غَرِيبَةُ الأَطْوار » .

(١٢)

وكان يَسْكُنُ الْكَوْكَبَ الثَّالثَ سِكِّير . وكانَتْ هذه الزِّيارَةُ قَصِيرةً جدًّا . ولكنَّها جَعَلَتِ الأَميرَ الصغيرَ يَسْتَغْرِق فى كآبةٍ بالِغَة . قالَ الأَميرُ للسكيرِ ، وَقَدْ وَجَدَه قَابِعاً فى صَمْت وأَمَامَهُ مَجْمُوعةٌ مِنَ

الزُّجاجات الفَارِغة ومَجْمُوعَةٌ من الزجاجاتِ المَلِيئَة
ـ ماذا تَفْعَلُ هنا ؟
فـأَجابَ السِّكِّيرُ بطريقةٍ حَزينَة : أَشرب .
ـ ولماذا تَشْرَب ؟
ـ لِكَيْ أَنْسى .
فَاسْتَعْلَمَ الأَميرُ وقد بدأ يَرْثى له .
ـ تَنْسى ماذا ؟
فـأَدلى السِّكِّيرُ مُطَأْطِئاً رَأْسه :
ـ أَنْسى الخِزْى .
فاستخْبَرَ الأَميرُ وَقْد وَدَّ لو أَعَانَه .
ـ ومِمَّ الخِزْى ؟ فَخَتَم السِّكير قائلاً :
ـ الخِزْىُ مِنَ الشُّرْب . ثم راحَ يَتَحَصَّنُ بالصَّمْت .
وَفَرَّ الأَميرُ الصَّغِيرُ وقَدِ اعْتَرَتْهُ الحَيْرة قائلاً فى نَفْسه أثناء الرحلة : « قطعاً ، إن شخصيات الكبار غريبة الأَطوار » .

(١٣)

وكانَ الكوكبُ الرَّابعُ هو كَوْكبُ رَجُل الأَعْمال
كانَ هذا الرَّجُلُ مَشْغولاً جِدًّا ، حتَّى إنَّه لَمْ يَرْفَع رَأْسَهُ عِنْدَ

وُصولِ الأَمير الصَّغير الذى قالَ لَهُ :

ـ عِمْ صباحاً . سِيجَارَتُك انْطَفَأَت .

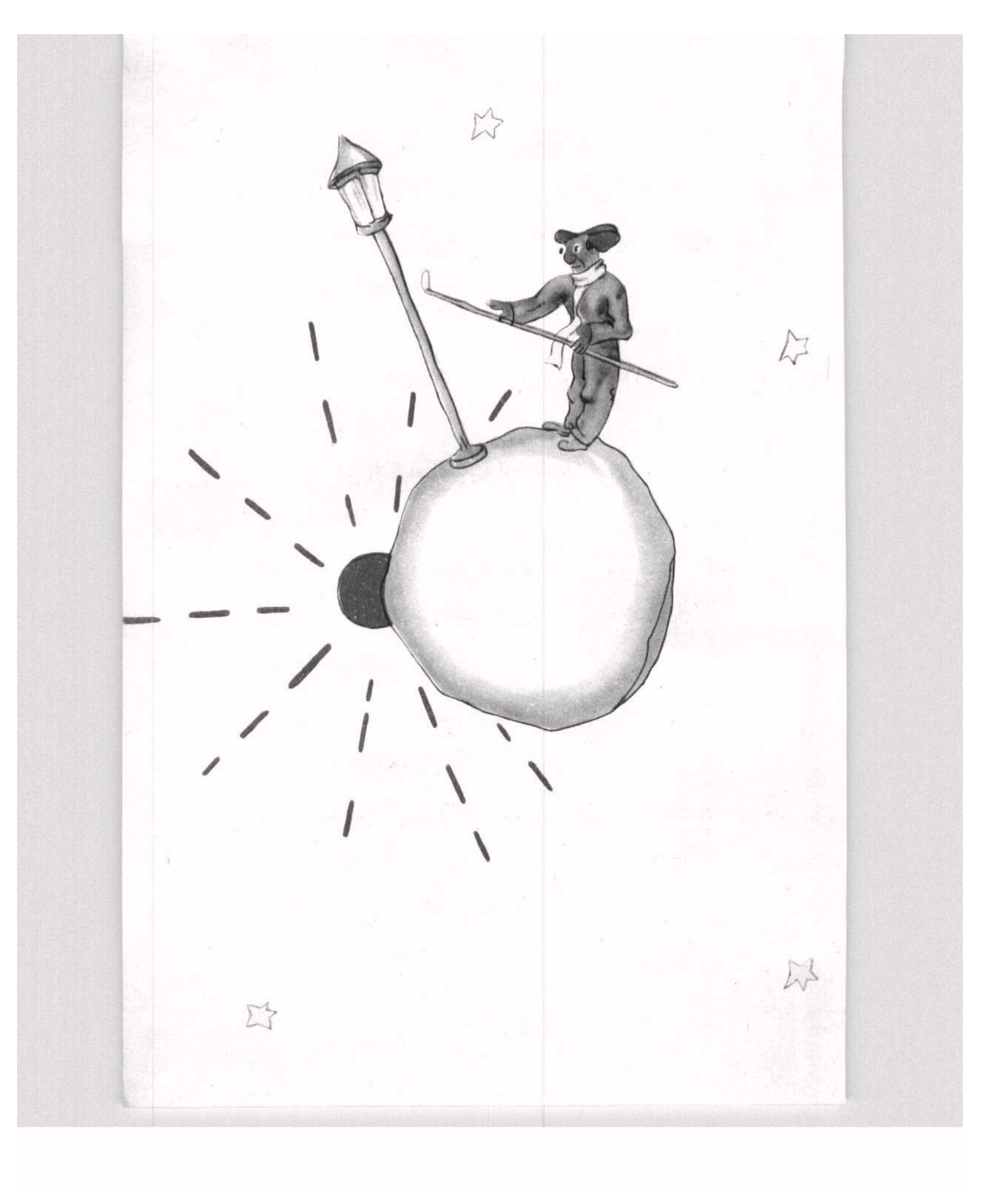
ـ ثلاثةٌ واثنان يُساويان خمسة . خَمْسَةٌ وَسَبْعَةٌ يُساويان اثْنَيْعَشَر . اثْنَا عَشَر وثلاثةٌ خَمْسةَ عَشَر . عِمْ صباحاً . خَمْسَةَ عَشَر وَسَبْعةٌ اثنان وعشرون . اثنان وعشرون وستة ثمانية وعشرون . لا وقتَ لإعادةِ إشعالِها . ستة وعشرون وخمسة واحد وثلاثون . أوفْ ، هذا يساوى إذن واحداً وثلاثين وسَبْعِمائة واثْنَيْن وعِشْرين وستمائة أَلْف وواحدٍ وخَمْسِمائة مليون .

ـ خَمْسِمائة ملْيون ماذا ؟

ـ ألا زلْتَ هنا ؟ خمسمائة وواحد مليون من ... لا أَدْرى مُطْلقاً . إننى مشغول للغاية. أَنا جد. أنا لا أَلهو بالهزار. اثنان وخمسَةٌ سبعةٌ ...

فكرر الأَمير الصغير سؤاله ، وهو لم ينزل فى حياتِه مُطْلقاً عَنْ سُؤَال وَجَّهَهُ مَرَّة . فَرَفَعَ رَجُلُ الأَعْمال رأْسه . . .

ـ مُنْذُ أَربعٍ وخمسين سنة ، وأَنا أَسْكُنُ هذا الكوكب. لم يعطلنى أَحد سوى ثَلاثِ مَرَّات . لم أُعَطِّل غَيْرثَلاث مَرّات . كانت المرَّة الأُولى منذ اثنتين وعشرين سنة ، عندما سقط جعران ، ويَعْلَمُ الله من أين ، فَنَشَرَ ضَوْضاءً مُزْعِجَة. وقد ارتكبتُ ثلاثَةَ أَخْطاء فى عَمَلِيَّةجَمْع . والمرةُ الثانية كانت مُنْذُ إِحْدى وعشرين سَنَة . كانت أَزْمَةَ رُوماتيزم .



إن التَّمْرِينَ يَنْقُصُنى . لَيْسَ لَدَىَّ وَقتٌ لكى أتَلَكَّأ . أنا جَد ، أنا والمرة الثالثةُ هِيَ هَذه . كُنْتُ أقول إذن خمسمائة وواحد مليون . .

– ملايين ماذا ؟

– وأدْرَكَ رَجُلُ الأعمالِ أنه لَيْس ثَمَّةَ أَمَلٌ فى هدوء .

– ملايين من تلك الأشياء الصَّغيرةِ التى تَرَاها أحْياناً فى السماء .

– الذُّباب ؟

– كلا . من الأشياء الصغيرة التى تَلْمَع .

– منَ النَّحْل ؟

– كلا . من الأشياء الصَّغيرةِ الذهَبيَّة التى تَسْرَحُ بعُقول العاطلين. ولكننى جاد ، وليس لدى وقت لكى أسْرَحَ إطلاقاً.

– أوه . من النجوم ؟

– هو ذلك ، منَ النُّجوم .

– وماذَا تَفْعَل بِخَمْسِمائة ملْيون نجم .

– خمْسمائة ملْيُون وستمائة واثنان وسبعون ألفاً ومائتان وواحد وثلاثون . أنا جد . أنا دقيق .

– وماذا تَفْعَلُ بهذِه النُّجوم ؟

– الذى أفْعَلُهُ بها ؟

ــ أَجل !

ــ لا شَيْء . أَمْلِكُها .

ــ تَمْلِكُ النُّجومَ ؟

ــ أَجل !

ــ ولكنَّني كُنْتُ قَدْ شاهدتُ مَلِكاً يـ . . .

ــ الملوك لا يَمْلكُون ! إنَّهُم يَحْكُمون . والأَمْرُ يَخْتَلِف .

ــ وفيم يُفيدُك امْتلاكُ النُّجوم ؟

ــ يُفيدنى فى أن أكونَ غَنِيًّا ؟

ــ وماذا يُفيدك أنْ تَكون غَنيًّا ؟

ــ أن أَشْتَرىَ نُجومًا أخرى . إذا وَجَدَ منها أَحد .

فَقالَ الأَميرُ الصغيرُ فى نفسه : إنَّه يُعَلِّلُ كَسكِّيرى تَقْريباً .

ومَعَ ذَلك فَقَدْ عَاد يُوَجِّهُ أَسئلة :

ــ كَيْفَ يُمْكنُ أَنْ تَمْتَلِكَ النُّجوم؟

فاعْتَرضَ رَجُلُ الأَعْمال ، وكان عَصَبىَّ الْمِزاج .

ــ لِمَنْ هى ؟

ــ لَسْتُ أَدْرى . لَيْسَتْ لِأَحد .

ــ إذَنْ فَهِى لى . لأَننى أول من فكر فيها .



ـ أوَ هذا يَكْفى ؟

ـ بكل تـأْكيد . فَعِنْدما تَجِدُ حجرًا من الماس ليس ملْكاً لأَحَد فَهُولك . وعندما تَجدُ جَزيرة ليست ملكاً لأَحد فَهِى لك . وعندما تكونُ أَوَّلَ من أَتَتْه فِكْرةٌ مُعَيَّنةٌ فإنكَّ تُسَجِّلُها وهى لك . وأَنا أَمْلِكُ النجوم، ما دام لَيْس هُناك من فَكَّر قبْلى فى امْتِلاكها .

ـ فعلاً . وماذا تَفْعَلُ بها ؟

ـ إننى أَتَوَلَّى إدارتَهَا . أَعدُّها ثم أعيدُ عَدَّهَا . هَذَا صَعْب . ولكنَّنى رَجل جد . ولم يَكْتَفِ الأَميرُ الصغيرُ بهذَا القَدْر .

ـ أنا ، إذا كنت أَمْتَلِك مِلْفَعَةً فإنّنى أَسْتَطيعُ أَنْ أَضَعَها حَوْلَ رَقَبَتى وأَحْملَها . وأَنا ، إذا كُنْتُ أَمْتَلكُ وَرْدَة ، فإنَّنى أَستطيعُ أَن أَقطِفَ وردَتى وأَحْمِلَها . ولكنَّكَ لا تَسْتطيع أَن تَقْطِفَ النُّجُوم .

ـ لا ! ولكنّنى أَسْتَطيعُ أَنْ أَضَعَها فى المصرف .

ـ ماذا يَعْنى هذا ؟

ـ يعنى أَنّنى أَكْتُبُ عَدَدَ النُّجُوم فى وَرَقَة ، ثُمَّ أُغْلِقُ الدُّرْجَ بالمفتاح على هذه الوَرَقة .

ـ وهذا كُلُّ ما فى الأَمر ؟

ـ هذا يكفى .

وَوَجَدَ الأَميرُ الصغيرُ أَنَّ هذا مُسَلٌّ وشاعرىٌّ للغاية ، ولكنّه ليس جادًّا . كانت أفكارُ الأَمير الصغير عن الأَشْياءِ الجدِّيَّة تَخْتَلفُ عَنْ أَفْكارِ الكبار فَأَرْدَفَ قائلاً :

ـ « إننى أَمْلِكُ وَرْدَةً ، أَسْقيها كلَّ يَوْم . وأَمْلكُ ثلاثَة بَراكين أَجْرُدُها كلَّ أُسْبوع ، فأَنا أَجْرُدُ كَذلك البُرْكان الْخامد . إنّنا لا نَدْرى مُطْلَقاً . من الْمُفِيدِ لِوَرْدَتى ولِبَرَاكِينى أَنْ أَكُونَ مَالِكاً لَها . ولكنَّك لَسْتَ مُفيدًا للنُّجوم » ، وَفَغَرَ رَجُلُ الأَعمال فاه ، لكنه لم يَجدْ ما يُجيبُ به . وفرَّ الأَميرُ الصغيرُ . وكان يقول فى نفسه ببساطة خلالَ الرِّحلة : « قطعاً ، إن شخصيات الكبار غريبة الأَطوار » .

(١٤)

وكانَ الكوكبُ الخامسُ غريباً للغاية . كان أَصْغَرَها جَميعاً . وكان

هُناك مَكانٌ يَكْفِى بِالْكاد لإِقَامَةِ مصباحٍ ورجل يشعل المصابيح. ولمْ يَتَوصَّلِ الأَمِيرُ الصغيرُ إلى اسْتيضاح ما يُمْكنُ أَنْ يُفيد مصباحُ ورجل يشعل المصابيح، فى مكان مافى السماء، وعلى كوكبٍ خال من المَسْكَن والسُّكَّان ، ومع ذلك قال فى نفسه .

ـ مِنَ الْمُحْتَمَلِ جِدًّا أن يكونَ هذا الرَّجُلُ شاذًّا ، ومع ذلك فإنَّه أَقَلُّ شُذُوذًا من المَلِك ومن المغرور ومن رَجُل الأَعْمال والسِّكِّير . على الأَقل فإن لِعَمَلِهِ مَعْنى . فهو عِنْدما يشْعلُ مصْباحَه فكأَنما يَسْتَوْلِدُ نَجْماً جَديدًا أَوْ وَرْدَة . وعندما يُطْفِئُ مصْباحَه فإن هذا يَنِيمُ الْوَرْدَةَ أو النجم . إنها لمشْغُوليَّةٌ جَمِيلَةٌ . وهى فى الواقع مُفِيدَةٌ مَا دَامَتْ جَمِيلَة .

وعندما اقْتَرَبَ من الكوكب، حَيَّا الرجل الذى يشعل المصابيح :

ـ عِمْ صباحاً . لماذا أَطْفأْت مِصْباحَكَ توًّا ؟

ـ إنَّها التَّعْلِيمَات . عم صباحًا .

ـ وما هى التعليمات ؟

ـ هى أن أَطْفِئَ مِصْباحى . عم مساءً .

ثم أَعَاد إشْعاله .

ـ ولكن لماذا تعود وتُشْعِلُهُ من جديد ؟

ـ إنها التعليمات .

ـ أنا لا أفْهَم .

ـ لَيْسَ ثَمَّة ما يُفْهَم . التعليمات هي التعليمات. عم صباحاً .
وأَطْفأَ مصباحه . ثم مَسَحَ عن جَبِينِهِ بِمِنْدِيل ذى مُرَبَّعات حَمْراء .

ـ إننى أُؤدى مهمةً خطيرة . كان هذا مَعْقولاً فيما مضى. كُنْتُ أُطْفِىءِ فى الصَّباح ، وأُضِىءُ فى المَساء . فكانَ عِنْدى بَقِيَّةُ النَّهار للرَّاحَة ، وبَقِيَّة اللَّيْلِ للنَّوْم .

ـ وهل تَغَيَّرَت التَّعْليمات منذُ ذلك العَهْد !

ـ التَّعْليمات لم تَتَغَيَّر ، وهذه هى المَأْساة . إنَّ الكوكب يدورُ أَسْرَعَ فأَسْرَعَ مِنْ سَنَةٍ لأُخْرى ، والتَّعْليمات لم تَتَغَيَّر .

ـ فماذا إذن ؟

ـ لما كان الآن يُؤدى دَوْرَةً فى الدَّقِيقَة ، فَلَيْسَ لدى ثانيةٌ للراحة . إنَّنى أُنير وأُطفِئُ مَرَّةً كُلَّ دَقيقة

ـ هذا عَجِيب ! اليوم عندكم يسْتَغْرِق دَقِيقة .

ـ لَيْسَ هذا عجيباً على الإطْلاق . لقَد مضى آنِفاً شهرٌ إذ نَحْنُ نَتَحَدَّثُ معاً .

ـ شَهْر ؟

ـ أَجَل ثَلاثُون دَقِيقة ثَلاثُون يَوْماً . عمْ مساءً !

ثُمَّ أعادَ إضاءةَ مِصْباحِه .

وَرَنا له الأَميرُ الصغيرُ وأَحَبَّ ذلك الرجل الذى كان مُخْلِصاً للتَّعْليمات إلى حَدٍّ بَعيد . وتَذَكَّرَ غُروبَ الشَّمْس الّذِى رَاحَ يَبْحَثُ عَنْه فى الماضى بِجرِّ كُرْسِيِّه . وأَرادَ أَنْ يُعِينَ صديقه .

– إننى كما تعلم . . . أَعْرفُ طَرِيقَةً لإراحَتِك عِندما تَرْغب . . .

– إننى أَرْغَبُ دائماً .

ذلك لأَن الْمرءَ يُمكن أَنْ يَكون فى نَفْس الْوَقْتِ مُخْلِصاً وَكَسُولاً .

وَأَرْدَفَ الأَميرُ الصَّغِيرُ قائلا :

– إنَّ كَوْكَبَكَ صَغِيرٌ بِمكان ، حَتَّى أَنَّك تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجوبَه فى ثَلاثِ خُطُواتٍ . ما عليكَ إلاَّ أَنْ تَسير الهُوَيْنَا بِقَدْرٍ يَسْمَحُ لَكَ أَنْ تَكونَ دائِمًا عِنْدَ الشَّمْس . فَعِنْدَما تُرِيدُ أَنْ تَسْتَرِيحَ ، تَسِير ، وَسَيَطُولُ النَّهارُ بِمِقْدار ما تُرِيد .

– هذ لا يُصْلِحُ مِنْ مَرْكزِى كَثِيرًا . إنَّ ما أُحِبُّه فى الْحَياةِ هُوَ النَّوْم .

– قال الأَمير الصغير .

– ليس هناك من وسيلة . وأَمَّنَ الرجل :

– ليس هناكَ من وسيلة . عِم صباحاً !

– وأَطفأَ مِصْباحَهُ .

فقالَ الأَميرُ لِنَفْسِه بَيْنَما كان يُتابع رحلته مُبْتَعدًا . أَمَّا هذا فَقَدْ يَحْتَقِرُهُ كُلُّ الآخَرِين : المَلِك والمغرورُ والسِّكير ورجلُ الأَعمال . ومع ذلك فهو الوَحِيدُ الذى لا يبدو لى سَخيفاً . وقد يكون ذلك لأَنه يهتمُّ بِشَىءٍ آخَرَ غَيْر نَفْسِه :

وَتَنَهَّد حَسْرَةً وعادَ يَقُولُ لِنَفْسِه :

ـ إنه الوحيد الذى أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَّخِذَه صَدِيقاً. ولكن كَوْكَبه صغيرٌ إلى حَدٍّ بعَيد . فليس به مكان لاثنين . أَما الذى لم يَجْرُؤ الأَميرُ على الاعْتِرافِ به، فهو أَنه كان يَتَحَسَّرُ على ذلك الْكَوْكبِ بِسَبَبِ الأَربعة وأَربعين ومائة غُرُوبٍ للشَّمس فى كُلِّ أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ ساعة .

(١٥)

وكان الكوكبُ السادسُ أَفْسَحَ بِمِقْدارِ عَشْرةِ أَضْعَاف ، يَسْكُنُه سَيِّدٌ مُسِنٌ يحرِّرُ كُتُباً ضَخْمَة . فَصَاح عِنْدَ ما لَمَح الأَمِيرَ الصَّغير :

ـ امْسِك ! هٰذَا مُكْتَشِف.

وجلَس الأَميرُ إلى المائِدَة ، ونَفَخَ قَليلاً ، فلقد كانت رِحْلَتُهُ طَويلة .

فقال له السَّيِّد الْمُسِن :

ـ من أَيْن أَنْتَ آت ؟ فقال الأَميرُ الصغير :

ـ ما هذا الكتابُ الضَّخْم ؟ ماذا تَفْعَلُ هنا ؟

فقال السيد المسن :

ـ أنا عالم جُغْرافى .

ـ ماذا يَعْنى عالم جغرافِى ؟

ـ هو عَالِمٌ يَعْرِفُ أَيْنَ تُوجدُ البِحارُ والأَنهارُ والمُدُن والجِبالُ والصَّحارى .

ـ فقال الأَمير الصَغير :

ـ هذا جدٌّ مُثِير . وهى فَوْقَ ذلك مِهْنَةٌ حَقِيقيَّةٌ . ثم أَلقى نَظْرَةً على ما حَوْلَه فَوْقَ كَوْكَبِ الْجُغْرافى . إنه لَمْ يَرَ بَعْدكَوْكَباً فى مِثْلِ هَذه الْعَظَمة .

ـ إن كَوْكَبَكَ جَميلٌ إلى حَدٍّ بعيد. تُرى هَلْ هُناك مُحِيطات ؟

فقال الجُغْرافى : لا أَستطيع أن أَدْرى .

ـ آه ! (لقد خاب أَمل الأَمير الصغير) وجِبال؟ فقال الجغرافى :

ـ لا أَستطيع أن أَدْرِى .

ـ ومُدُنٌ وأَنْهَار وصَحَارى ؟ فقال الجغرافى :

ـ لا أَستطيع أَن أَدْرى كذلك .

ـ ولكنَّكَ جغرافى . فقال الجغرافى :

ـ فِعْلاً ، ولكننى لَسْتُ مُكْتَشِفاً . فَلَيْسَ لدى مُكْتَشِفون على الإِطْلاق . وليس الجغرافى هو الذى يقوم بحصْرِ المدنِ والأَنهارِ والجبالِ

والمحيطات والصحارى .

إن الجغرافى أكبر من أنْ يَتَسَكَّع .

إنه لا يَبْرَحُ مَكْتَبَهُ ، ولكنه يَسْتَقْبِل فِيه الْمُكْتَشِفين ويَسْأَلهم ويُدَوِّن ذِكْرَياتهم .

وإذا ما بَدَتْ ذِكْرَياتُ أَحَدِهم مغريةً بالاهْتِمام ، فإن الجغرافى يَطْلب إجْراءَ تَحرِّى عن أخلاق المكْتشف .

– ولم هذا ؟ .

– لأن المكتشفَ الذى يَكْذِبُ قد يَجُرُّ نكباتٍ فى كُتُبِ الجغرافية . وكذلك الْمُكْتَشِفُ الذى يُفْرِطُ فى الشَّراب .

– ولم هذا ؟

– لأَنَّ السِّكِّيرين يَرونَ الأَشياءَ مضاعفةً وعلى ذلك فقَدْ يُسَجِّلُ الْجُغْرافى جَبَلَيْنِ فى حين أنه لَيْسَ هناك غَيْرُ جَبَل واحِد .

فقال الأَميرُ الصغيرُ :

– أنا أَعْرِفُ شَخْصًا لا يَصْلُحُ مُكْتَشِفًا .

– هذا مُمْكِن . وعلى ذلك ، فعند ما تَبْدو أخلاق المُكْتَشِف حميدة فإننا نَقُوم بِدراسةِ اكْتِشافِه .

– ترى أَنَذْهَبُ لِنَرى ؟

– كلا . فَهذا مُعَقَّدٌ لغاية . ولكننا نطالب المُكْتَشِفَ بِتَقْدِيم أَدِلَّة . فإذا كان الموضوع يتعلق بكشف جَبَل ضَخْم فإنَّنا نطالبه بأن يُحْضِرَ مِنْه أحْجَارًا ضَخْمَةً . وانفعل الجغرافى فجأة :

– أما أنت ، فإنك آت من بَعيد ، أَنْتَ مُكْتَشِف وسَتَصِفُ لى كَوْكبك .

وبَعْدَ أنْ فَتَح الجغرافى سِجِلَّه ، برى الْقَلَم الرَّصاص. فى بادِئِ الأَمْر تُسَجَّلُ روايات الْمُكْتَشِفين بالقَلَم الرَّصاص وينْتَظِرُ لِلتَّسْجيل بالْحِبرأَنْ يَقُومَ الْمُكْتَشِفُ بتقديم البراهين .

– فَسَأَل الجغرافى .

– هيه ؟

– أوه . الأَمْرُ فى بَيْتى لا يثير كثيرًا . إنه صغيرٌ جدًّا . فَعِنْدى ثلاثة براكين ، اثنان عاملان ، وبُرْكان خامِد . ولكنَّنا لا نَدْرى مُطْلَقًا .

فقال الجغرافى .

– لا نَدْرى مطلقًا .

ـ وعندى كذلك وَرْدة .

ـ إننا لا نُسَجِّلُ الْورود .

ـ ولماذا ؟ إنها أَجْمَل شىء .

ـ لأَن الْوُرودَ زَائِلة .

ـ ماذا يعنى « زائل » ؟

ـ إن الجغرافيات هى أكثر الكتب جِدِّيَّة . فلا تبلى جِدَّتُها أَبَدًا. فَمِنَ النَّادِرِ أَنْ يَتَحَوَّلَ جَبَلٌ عَنْ مَكانِه .

ومن النَّادِرِ أَنْ يَنْفَدَ مُحِيط مِنْ مائه . إِنَّنا نسجل أَشْياءَ خَالِدَة .

ـ فقاطَعَ الأَمِيرُ قائلاً :

ـ ولكن البراكينَ الخامِدَةَ يُمْكِنُ أَنْ تَهِيج . ماذا يَعْنى « زائل » ؟

ـ يَسْتوى الأَمْرُ بالنِّسْبَة لنا ، نَحْنُ الآخَرِين، أَن تكون البراكينُ خَامِدةً أو هائِجَة .

أَمَّا الذى يَهُمُّنا فَهُوَ الْجَبَل . إنه لا يَتَحَوَّل .

وكَرَّرَ الأَمير الذى ما تنازل قَطُّ عن سؤال وجَّهه مَرَّة .

– ولكن ماذا يعنى « زائل » ؟

– يَعْنى « ما هُوَ مُهَدَّدٌ بزَوالٍ قَريب » .

– وهل وردتى مُهَدَّدَةٌ بزوالٍ قريب ؟

– بكل تَأْكيد .

فقال الأَمير فى نفسه : وردتى زَائِلَةٌ . ولَيْسَ لَها غَيْرُ أَرْبع شَوْكات تُدَافِعُ بِها عَنْ نَفْسِها ضد العالم . ولقد تَرَكْتُها فى بَيْتى وحيدة .

– وكان هذا أَوَّلَ شعور له بالندم . ولكنه اسْتَعَاد شَجَاعَتَه :

– وماذا تشير عَلَىَّ بِزيارته ؟

– كوكب الأَرض ، فله شهرة عظيمة .

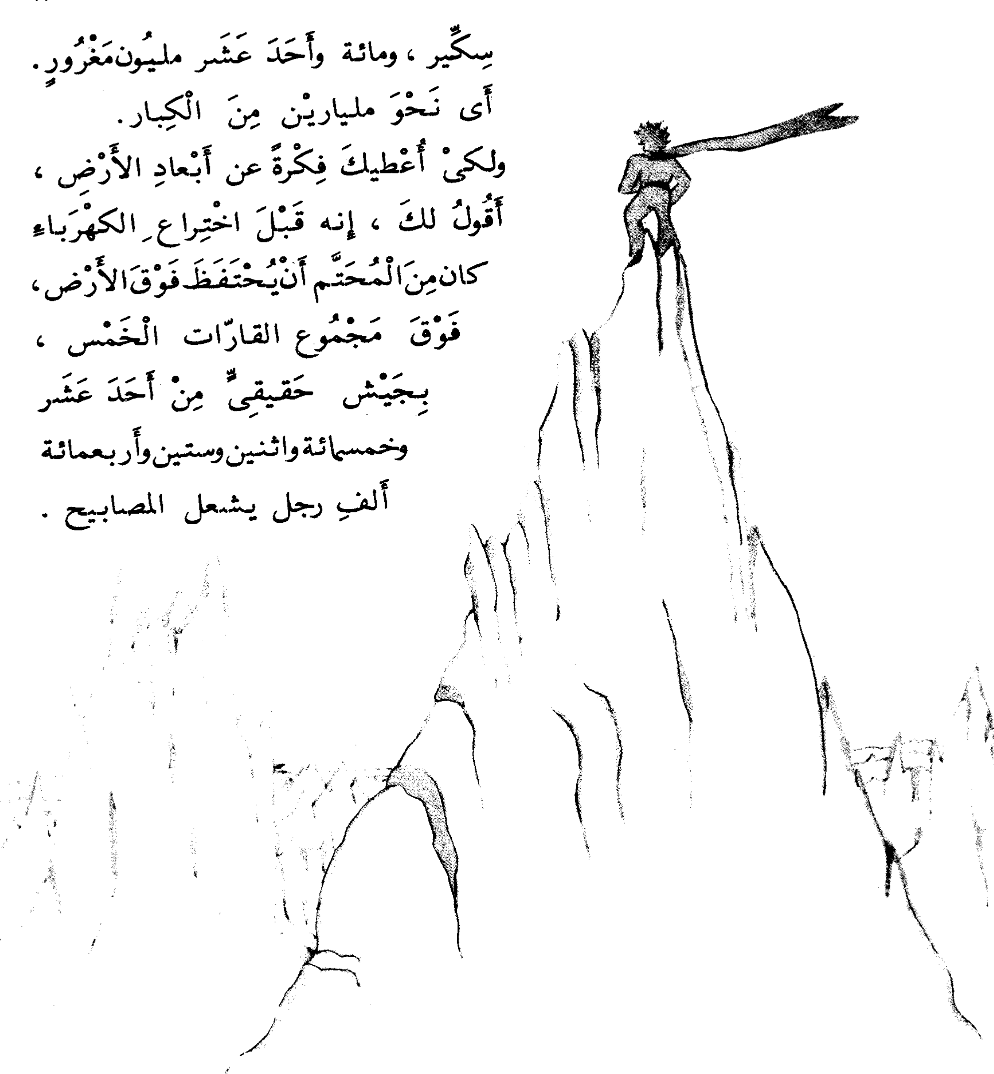
وفَرَّ الأَمِير الصغيرُ مُفَكِّرًا فى وَرْدَتِه .

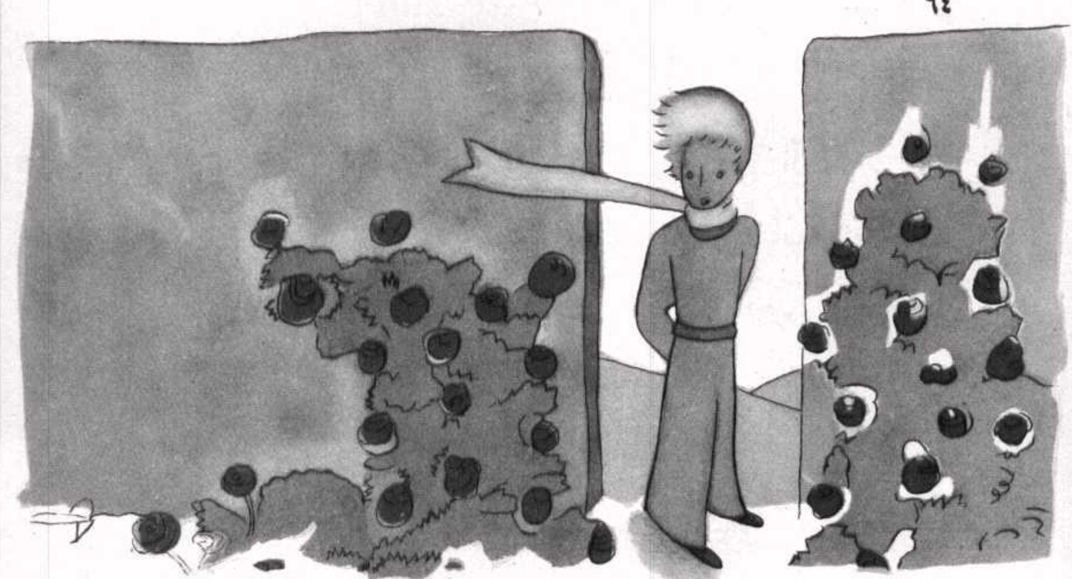
(١٦)

وكان الكوكبُ السادسُ هو الأَرض .

وليست الأَرضُ كَوْكَباً أَيًّا كان . فإننا نحصى فيها مائةً وأَحَدَ عَشَر مَلِكاً (طبعاً دون أن نُسْقِطَ الملوكَ الزنوج) وسَبْعَةَ آلافٍ من الجغرافيين ، وتسعمائة أَلْفِ رَجُل أَعْمَال ، وسِتَّةَ ملايين ونصفَ مِلْيون

سِكِّير ، ومائة وأحَدَ عَشَر مليُون مَغْرُورٍ.
أى نَحْوَ ملياريْن مِنَ الْكِبار.
ولكيْ أُعْطيكَ فِكْرَةً عن أَبْعادِ الأَرْضِ ،
أَقُولُ لكَ ، إنه قَبْلَ اخْتِراعِ الكهْرَباءِ
كانَ مِنَ الْمُحَتَّم أَنْ يُحْتَفَظَ فَوْقَ الأَرْض ،
فَوْقَ مَجْمُوع القارّات الْخَمْس ،
بِجَيْش حَقيقِيٍّ مِنْ أَحَدَ عَشَر
وخمسمائة واثنين وستين وأربعمائة
ألفِ رجل يشعل المصابيح .





وكان لهذا وَقْعٌ بَديعٌ مِنْ بُعْدٍ قَريب . وكانت تَحَرُّكاتُ هذا الْجَيش مُنَظَّمةً كما هو الحالُ فى رَقْصِ الأُوبرا . أَوَّلاً ، يأْتى دَوْرُ مُشْعِلى مَصابِيح زيلاند الجديدة وأُستراليا ، ثم بَعْدَ أَنْ يُشْعِلَ هؤلاءِ مَصابيحَهُم يَنْصَرِفون للنَّوم . وعندئذٍ يأْخُذُ مُشْعِلو مَصابِيح الصِّين وسيبريا دَوْرَهُم فى الرقصة . وعندئذ يأْتى دَوْرُ مُشْعِلى مَصابِيح روسيا والهند ، ثم هؤلاءِ الخاصِّين بأَفريقيا وأُوربا ثم أُولئك الخاصّين بأَمريكا الشمالية . وما أَخطأُوا قط فى نِظام دُخولِهِم المَسْرح . ولقد كان ذلك عَظيماً .

فَقَط ، كان مُشْعِل مِصْباحِ الْقُطْبِ الشَّمالى الْوحِيد وأَخُوه مُشْعِلُ مِصْباح الْقُطْب الجنوبى الْوَحيد يَعيشان حَياةَ بَطالَةٍ وَتَراخٍ ، فَقَدْ كانا يَعْمَلانِ مَرَّتَيْن فى السَّنة .

(١٧)

عِنْدَ ما يَقْصِدُ الْمَرْءُ أَنْ يَتَذَاكى، فإنه يَكْذِبُ قَلِيلا. وأنا لم أَكُنْ أَميناً لِلْغَاية عِنْدَمَا كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مُشْعِلِى الْمَصَابِيح. لَقَدْ أَوْشَكْتُ أَنْ أُعْطِىَ فِكْرَةً خَاطِئَةً عَنْ كَوْكَبِنَا لأُولئك الَّذين لا يَعْرِفونه ؛ فالنَّاس يَشْغَلُون حَيِّزاً صغيراً مِنَ الأَرْض. فَلَوْ حَدَثَ أَنْ وَقَفَ الْمِلْيَاران مِنَ السُّكَّان الَّذين يَعْمُرُون الأَرْض، مَضْغُوطِين بَعْضَ الشَّىء، كما يَحْدُثُ فى لِقاء، فإنَّهُمْ يَسْتَقِرُّون بِسُهُولَةٍ فى مَيْدانٍ طُولُه عِشْرون ميلاً وعرضُه عِشْرون ميلاً. إنَّ بوسعنا أن نُكَدِّسَ الناسَ فَوْقَ أَصْغَرِ جَزِيرةٍ فى الباسفِيك. ولَنْ يُصَدِّقَكَ الْكِبار، بِكُلِّ تَأْكيد ؛ فهُم يَتَصَوَّرون أَنَّهُم يَشْغَلون مَكَاناً كَبِيراً. إنَّهم يَرَونَ أَنْفُسَهم ذوى شَأْن كَبير مِثْل أَشجار الباء وباب. وَتُشِيرُ عَلَيْهِم بِإِجْراءِ حِسَاب، فَهُمْ يَعْشَقُون الأَرْقام، وَهذا سَيُعْجِبُهم ؛ ولكِنْ لا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ فى هَذه الْفِكَرة، فلا جدوَى من وراءِ ذلكَ. فإنكَ تثق بى.

وما إنْ حَلَّ الأَميرُ الصغيرُ بالأَرض حَتَّى أَدْهَشَهُ أَنَّهُ لا يَرَى إِنْساناً. ولَقَدْ خَشِىَ أَنْ يَكون قَدْ أَخْطَأَ الْكَوْكَب، عِنْدمَا تحركت فى الرَّمْل حلقةٌ فى لَوْنِ ضَوْءِ الْقَمَر. فَقال دُونما قَصْد :

ـ عم مساءً ! فأَومأَ إليهِ الثُّعبان قائلا . . .

ـ عم مساءً !

فَسَأَل الأَمير :

– على أى كوكب سَقَطْتُ ؟

– فأَجابَ الثُّعبان :

– على الأَرض ، فى أَفريقيا .

– أوه . أَلَيْسَ ثَمَّةَ إِنْسانٌ على الأَرْضِ إِذَن ؟

– هنا الصحراء . لَيْسَ هناك إِنسانٌ فى الصحراء . والأَرْضُ واسِعَة .

وجَلَس الأَمير عَلى حَجَر وصَعَّدَ عَيْنَيْه فى السَّماء . .

– إِننى أَتَساءَل عَمَّا إِذا كانَت النُّجومُ مُضِيئةً حتى يستطيع كلٌّ أَنْ يَعْثُر على نَجْمِه يَوْماً . انْظُرْ إِلى كوكبى،إِنه تَحْتَنا تَماماً . . ولكنْ كَمْ هو بعيد !

– إِنه جَميلٌ ؛ مَاذَا جِئْتَ تَفْعَلُ هنا ؟

– إِنَّ لى مُشْكِلاتٍ مَعَ وَرْدَة .

فَأَوْمَأَ الثُّعْبان قائلاً :

– أوه !

ثُمَّ صَمَتَا .

وأَخيرًا ، اسْتَطْرَدَ الأَميرُ الصَّغيرُ :

– أَين الناس؟ يكَادُ المرءُ أَنْ يَكُونَ وَحيدًا فى الصَّحْراء. فقال الثعبَان :

– وَهُوَ وَحِيدٌ كذلك مع النَّاس .

ونَظَرَ إليْه الأَميرُ مَلِيًّا . . .

– إنَّكَ لَحَيَوانٌ غَريب ، نَحِيلٌ كَأُصْبُع .

– ولكنَّنى أَقْوى مِنْ أُصْبَع مَلِك . فابتَسَم الأَميرُ الصَّغير .

– إنك لستَ على جانب كبيرمن القوة . . فليسَ لَكَ حَتَّى قَوائِم . إنَّكَ حَتَّى لاَ تَسْتَطِيعُ التِّرْحال .

– إنَّنى أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْمِلَكَ إلى أَبعدَ مِمَّا تَحْمِلُكَ السَّفينَة .ثُمَّ الْتَفَّ حَوْلَ كاحِلِ قَدَم الأَميرِ الصَّغيرِ كَسِوار مِنْ ذَهَب ، وأَضاف :

– إنَّ مَنْ أَمَسُّه أُعيدُه إلى الأَرْضِ الَّتى خَرَجَ مِنْها . ولكنَّكَ صَافى السَّريرَة ، وآت منْ نَجْم . . فَلَمْ يُجِبِ الأَميرُ الصَّغيرُ بِشىءٍ .

– إنَّك تُثِيرُ شَفَقَتى أَيُّها الضَّعيفُ فَوْق هَذه الأَرضِ القاسية . إنَّنى أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعينَكَ يَوْماً إذا ما بَرَّح بِكَ الأَسَفُ على كَوْكَبِك .إنَّنى أَسْتَطِيع .

فَأَرْدَفَ الأَمير :

– أوه ، لَقَدْ فَهِمْتُ كُلَّ الفهم . ولكن لماذا تَتَحَدَّثُ دائماً بالأَلْغاز .

فقال الثُّعبان :

– إننى أَحُلُّها كُلّها .

ثُمَّ صَمَتَا .

(١٨)

واجْتازَ الأَميرُ الصغيرُ الصَّحْراءَ . فلمْ يَعْثُر إلاَّ على وَرْدَة ذَاتِ ثلاثِ وَرَقات ، وَرْدَة لَيْس إلاَّ .

ـ عِمْتِ صباحاً !

فقالت الوَرْدَة ! عِمْتَ صباحاً :

ثم سأَل الأَميرُ مَتأَدِّباً : أَيْن الناسُ ؟

وكانت الوَرْدَةُ قد رَأَتْ ذَاتَ يَوْم قَافِلَةً تَمُرُّ .

ـ الناس؟ يُوجَدُ مِنْهُمْ عَلىَمَا أَعْتَقِدُ ستَّةٌ أَوْ سَبْعة. ولَقَدْ لَمَحْتُهم مُنْذُ سَنَوات . ولكن أَحَدًا لايَدْرى مُطْلَقًا أَيْنَ يَجِدُهُم . إنَّ الرِّيح تصحبهم. فَالْجُذُورتُعْوزُهُم. وهذا يُضايِقهُم كَثِيرًا.فَقَالَ الأَميرُالصَّغير:

ـ ودَاعاً .

فقالت الوردة :

ـ وَدَاعًا .

(١٩)

وارتقى الأَمير الصغير جبلاً عالياً .

كانت كلُّ الجبال التى عَرفها فى حَياتِه هى البراكينُ الثَّلاثة التَّى كانَتْ تَصِلُ حَتَّى رُكْبَتِه . وكان يتَّخِذُ مِنَ البركان الخامِدِ

مِقْعَدًا . وعندئذٍ قَالَ فى نَفْسِهِ :

« مِنْ فَوْقِ جَبَل مُرْتَفِعٍ كَهَذا سَأَشْهَدُ ، فى لَمْحَةٍ واحدةٍ ، الْكَوكبَ كلَّه ، وكُلَّ الناس . . . » ولكِنَّه لَمْ يَشهَدْ شيئاً غَيْرَ قِمَم صُخُورٍ مشحوذة . فَقَال كَيْفَمَا اتُّفِق :

ـ عِمْتُم صَباحاً !

فَأَجابَ الصدى

ـ عِمْتُم صباحاً ! . . . عمتم صباحاً ! . . . عمتم صباحاً !

فقالَ الأَميرُ الصغير :

ـ مَنْ أنتم ؟

فأَجاب الصدى :

ـ مَنْ أَنْتُم؟ . . . من أنتم؟ . . . من أَنتم ؟

ـ صادِقُونى فأَنا وَحِيد !

فأَجاب الصَّدى :

ـ أَنا وَحِيد ! . . . أَنا وَحِيد ! . . . أَنا وحيد !

ـ يالَه مِنْ كوْكب عَجِيب ! إنه شَدِيدُ الْجَفاف ، مُدَبَّب جدًّا ، ومُتَّسِخُ لِلْغاية . فالناس يَنْقُصُهم الخَيال . إنهُمْ يُرَدِّدون ما يُقال لَهُم .. فى بيتى كانَت عِنْدى وَرْدة . . . وكانت دائِماً تَبْدَؤُنى الكلام .

(٢٠)

ولكن حَدَثَ أخِيرًا ، بَعْدَ أنْ سارَ الأمير طويلاً خِلال الرِّمالِ والصُّخور والثُّلوج ، أن اكتَشَفَ طَرِيقاً ، والطرقُ كُلُّها تُؤَدى إلى الناس فقال :

– صَباحَ الخير ! وكان هذا بُسْتاناً يانِعاً زَهْرُه .

فَقَالتْ الوُرُود :

– صباح الخير !

ونظر إليها الأميرُ الصَّغير ، وكانت كلها تشبه وَرْدَتَه ، فسَألها مَذْهولا :

– مَنْ أنْت ؟ فقَالت الورود :

– نحن وَرْدَات . فَأرْدَفَ الأمير :

– أوه ! وأحسَّ أنه جد شَقِىٌّ ، فَقَدْ رَوَتْ لَه وَرْدَته أنها الفَريدة فى جِنْسِها فى الْوُجود . وها هِى ذِى خَمْسَةُ آلافٍ مِنْها مُتَشَابهة كلها فى بستان واحدٍ « لو رأت ذلك لاغْتاظَتْ ، ولَسَعَلَتْ كثيرًا ، وتَظاهَرَتْ بالْمَوْت ، كَيْما تَتَجَنَّبَ السخرية ، ولاضطررت أنا للتَّظاهُر بالْعِناية بها ، وإلا فإنها ، لكى تُذلنى ، فَقَدْ تَتْرُكُ نَفْسَها تَمُوتُ حَقًّا » . ثم أرْدَفَ قائلاً : « كنت أعتقدُ أننى غَنِىٌّ بِوَرْدَةٍ فَرِيدَةٍ ، بينما لا أمْلِك إلا زهرةً عادِيَّةً ، هذا ، وبراكينى الثلاثة التّى تَصِلُ إلى رُكْبَتَىَّ والّتى قدْ يَظَلُّ أحَدُهَا خامِدًا أبدًا ، لا تَجْعَل منّى أميرًا عظيمًا » . وبكى وَهُو رَاقِدٌ فى الْعُشب .

(٢١)

وفى تِلْك الأَثْناءِ ظَهَرَ الثَّعْلَبُ وقال :

ـ عِمْ صَباحاً !

ـ فأَجابَ الأَميرُالصغيرُ مُتَـأَدِّبا ، وقد الْتَفَتَ دُون أَنْ يَرى شَيْئاً.

ـ عم صباحاً !

قال الصوت :

ـ أنا هنا تَحْتَ شَجَرَةِ التُّفَّاح .

فقال الأَمير الصغير :

ـ من أَنْتَ ؟ إنك لَطِيفٌ لِلْغَايَة .

فقالَ الثعلب : أنا ثَعْلَب .

فاقْتَرَحَ عَلَيْه الأَمير قائلاً :



ـ تَعال العَبْ مَعِى ، فَأَنا جدٌّ حَزِين . فَقَال الثَّعْلَب :

ـ أنا لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَلْعَبَ مَعَك . فأَنا لَسْتُ مُسْتَأْلَفاً .

ـ أوه آسف ! ولكنه أَضاف بعد تَفْكير :

ـ ماذا يَعْنِى «يستأْلف» ؟

فَقَال الثَّعْلَبُ :

ـ لَسْتَ مِن هُنا ؟ عَمَّ تَبْحَث ؟ فقال الأَميرُ الصَّغير :

ـ أَنا أَبْحَثُ عنَ النَّاس . ماذا يَعْنِى «يَسْتَأْلِف» ؟ فَقَال الثَّعْلَب :

ـ النَّاس لَدَيْهم بَنَادِق . وهُمْ يَصْطادوننى . وهذا يُضَايق. إنهم يُرَبُّون الدَّجاج . وهذا هو اهتمامهم الوحيد . هل تَبْحَثُ عَنْ دَجاج ؟

ـ كلاَّ ! إننى أَبْحَثُ عَنْ أَصْدِقاء . مَاذا يَعْنى «يَسْتَأْلِف» ؟

ـ هَذا أَمْرٌ قد رَانَ عَلَيه الدَّهْر . إنه يَعْنى خَلْقُ عِلاَقات .

ـ خَلْق عِلاَقَات ؟

ـ بالتَّأْكيد . فَأَنْتَ لاَ تَعْدُو بالنسبة لى سوى طِفْلٍ صَغْيرٍ مُشَابِه لمائةِ أَلفِ طِفْلٍ صَغِير . ولسْتُ فى حاجَةٍ إليك . ولَسْتَ أَنت فى حاجَةٍ إلىَّ إطْلاقاً . فأَنا لَسْتُ بالنسبة لَكَ سِوى ثَعلبٍ مُشابهٍ لمائةِ أَلفِ ثَعلبٍ . أَمَّا إذا اسْتَأْلَفْتَنى ، فَلَسَوْفَ يَفْتَقِرُ أَحَدُنا إلى الآخر ، ولسوف تُصْبِحُ بالنِّسْبَةِ لى فريدًا فى الْوُجود ، ولسوف أُصْبِحُ بالنِّسْبَةِ لَك فَرِيدًا فى الوجود .

ـ فقال الأَميرُ الصغير :

ـ بَدَأْتُ أُدْرِك .هُناكوَرْدَة .. أعتقد أَنَّها اسْتَأْلَفَتْني .فقال الثَّعلَب :

ـ هذا مُحْتَمَل . فنحن نرى كُلَّ شَيء عَلى الأَرْض .

ـ أوه ! لَيْسَ هذا على الأَرْض ! فَبَدَت الْحَيْرةُ على الثَّعْلَب :

ـ على كَوْكب آخر ؟

ـ أَجَلْ !

ـ أهناك صَيَّادون على ذلك الكوكب؟

ـ كلاَّ !

ـ هذا مُدْهِش ! ودجاج ؟

ـ كلاَّ ! فتَنَهَّد الثَّعْلَبُ مُدَمْدِماً : لَيْس ثَمَّةَ كَمَال . ولكنَّ الثَّعْلَبَ عاد إلى فِكْرَته . . .

ـ إنَّ حَياتي رَتِيبَة . فأَنا أَصْطَادُ الدَّجاج . والصَّيَّادون يَصْطادُونني. كُلُّ الدَّجاج يَتَشَابَه ، وكلُّ النَّاس يَتَشابهون ، وعلى ذلك فأَنا أَضِيقُ بَعْضَ الشَّيء .أما إذا ما اسْتَأْلَفْتَني فَسوف تُصْبِحُ حَياتي وكأَنَّها مُشْمِسَة ، ولسوف أَعْرِفُ صَوْتَ خُطْوَةٍ سَتكُونُ مُخَالِفَةً لِكُل الخطوات الأُخرى . إن الخُطُوات الأُخْرى تَدْفَعُ بي تَحْتَ الأَرْضِ . أَمَّا خُطْوَتُك ، فإنَّها تَدْعوني إلى خارِج الجُحْرِ كالْموسيقى . وبَعْد . انْظُر ! أَتَرى حُقُول

الْقَمح هناك ؟ أنا لا آكُلُ الْخُبْز. فالْقَمْحُ بالنِّسْبَة لى عديمُ الفائِدَة. حُقولُ الْقَمح لا تُذَكِّرُنى بِشَىءٍ . وهذا مُحْزِن . ولكنَّ لَكَ شَعْرًا فى لَوْن الذَّهَب . وسَيَكُونُ هَذا رائِعاً عِنْدَمَا تَسْتَأْلِفُنى . فَإِنَّ الْقَمْحَ الذَّهَبىَّ سَيُثِيرُ فى نَفْسى ذِكْراك . ولَسَوْفَ أُحِبُّ صَوْتَ الرِّيح فى الْقَمْح . . .

وصَمَتَ الثَّعْلَب . وتَأَمَّلَ الأَمِيرَ الصَّغِير طويلاً .

– مِن فَضْلِكْ ، اسْتَأْلِفنى . فَقَالَ الأَميرُ الصَّغير :

– لَشَدَّ مَا أَرْجُو ذلكَ . ولكنْ لَيْسَ لَدَىَّ وَقْتٌ طَويل . فَعَلَىَّ أَن أَكْتَشِفَ أَصْدِقَاء . وأَنْ أَعْرِفَ أَشْيَاءَ طَائِلة . فقالَ الثَّعْلَب :

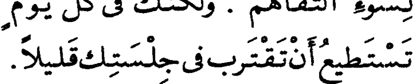
– إنَّ الْمَرْءَ لا يَعْرِفُ إلا الأَشْيَاءَ الَّتى يَسْتَأْلِفُها . فالنَّاس لَيْسَ لَدَيْهم على الإطلاق وقتٌ لِمَعْرِفَةِ شِىءٍ . إِنَّهم يَشْتَرون الأَشْياءَ جاهِزَةً



مِنْ عِنْدِ التُّجّار. ولمّا لَمْ يَكُنْ هُناك تُجّارُ أَصْدِقاء . فإنَّ الناس لَيْسَ لَدَيْهم أَصْدِقاء . فإذا كُنْتَ تُريد صَدِيقاً فاسْتَأْلِفْني .

فَقال الأَميرُ الصغير : وماذا يجب أَنْ أَفْعَل ؟

فأَجابَ الثَّعْلَب : يَجِبُ أَنْ تَكونَ صَبُورًا إلى حَدٍّ بَعيدٍ. سَتَجلس في بادئِ الأَمْر بَعِيدًا عني قليلاً هكذا في العُشْبِ ، وَسأَنْظُرُ إليك من طرف عيني. ولَنْ تَقول شَيْئًا ، فاللُّغة مَصْدَرٌ لِسُوءِ التَّفاهُم . ولكنك في كُلِّ يَوْمٍ تَسْتَطيعُ أَنْ تَقْتَرب في جِلْسَتِك قليلاً .





وفى اليوم التّالى عادَ الأَميرَ الصغيرُ ، فقال الثّعلب :

ـ كان الأَفضَلُ أَن تَعُودَ فى نَفْسِ السّاعة. فإِنَّك لوْ عُدْتَ مثلاً فى الرّابعِة بعَدْ الظُّهر ، فإِنّنى آخذُ فى السّعادَةِ منذ الثّالثة. وكلمّا تَقَّدمَ الزمن ، أَحْسَسْتُ بِمَزيد من السّعادة . وفى الرّابعة أَهْتَزُّ وأَقْلَقْ ؛ فإِننى سأَكْتَشِفُ ثَمَنَ السّعادَة . أَمَّا إِذا أَتَيْتَ فى أَىِّ وقت كان ، فإِنّنى لا أَعْرِفُ أَبَدًا فى أَيَّة ساعَةٍ أَبْدأُ إِعْدادَ قَلْبِى . لا بُدَّ من شعائر .

فَقَال الأَميرُ الصغيرُ :

ـ ماذا يَعْنى « شعائر » ؟

فقال الثّعلب :

ـ هذا أَيضاً شىءٌ قدران عَلَيْه الدّهر . إِنه هوالذى يَجْعَلُ من الْيَوْم شَيْئاً مُخالِفاً للأَيّام الأُخَر . ومن السّاعة شَيْئاً مُخالِفاً للسّاعات الأُخْرَى . هناكَ على سَبيل الْمِثال شعائرعِنْدَ الصَّيّادِين . فَهُم يَرْقُصون يَوْم الْخَميسِ مع فَتَيات الْقَرْية . وعَلى ذلك فالْخَمِيس يَوْمٌ رائِع . فأَنا أَذْهَبُ فى نُزْهَتِى حَتَّى الْكُروم . فإِذا كان الصَّيّادُون يَرْقُصون فى أَىِّ وَقْت ، لَتَشابهَت الأَيّام جَميعاً ، ولَمَا حَصُلْتُ على إِجازَةٍ مُطْلَقاً .

وهكذا اسْتَأْلَفَ الأَميرُ الصغيرُ الثَّعْلَبَ . وعندما حانَتْ ساعةُ الرَّحيل ، قال الثّعلب :

ــ أوه ! لَسَوفَ أَبْكى .

فقال الأَمير الصغير :

ــ إنها غَلْطَتُك . ما كُنْتُ لأَتَمَنَّى لك قَطُّ مَكْروهاً . ولٰكِنَّك شِئْتَ أَنْ أَسْتَأْلِفَك .

فقال الثعلب : فعلاً .

قال الأَمير الصغير : ولكنك ستبكى .

قال الثعلب : بكل تأْكيد .

ــ وفى هذه الحالَة لَنْ تَجْنِيَ من وراءِ ذلك شَيْئاً .

فقال الثعلب :

ــ سأَجْنى بِسبَب لَوْن القَمح . ثم أَضاف :

ــ هَيَّا تَفَرَّجْ على الورود مِنْ جَديد . ولَسَوف تَعْلم أَنَّ وَرْدَتك فَريَدةٌ فى الْوُجود . ولَسَوْفَ تَعودُ لِتُوَدِّعَنى ، وسَأَهَبُك سِرًّا .

وراحَ الأَميرُ الصَّغير يَتَفَرَّجُ على الورود :

ــ أَنْتِ لا تُشْبِهِينَ ورْدَتى على الإِطْلاق . إنَّكِ لا تَعْدين شَيْئاً . لم يَسْتَأْلِفْك أَحَد ، ولم تَسْتأْلِفِى أَحَدًا . إِنَّك كما كان ثَعْلَبى : لم يَكُنْ غيرَ ثَعْلب مشابِهٍ لمائةِ أَلْفٍ آخَرين . ولٰكنَّنى صادقته . فهو الآن فَريدٌ فى الْوُجود .

فبدا على الورود ضيقٌ شديدٌ .

فأَرْدَفَ قائلا :

ـ أَنْت جَميلة . ولٰكنَّك فَارِغة . ولا يُمْكِن أَن يمَوتَ المرءُ من أَجْلِكِ . من المُؤَكد أَن عابرًا عادِيًّا يُمْكِن أَن يَعْتَقِدَ أَنَّ وَرْدَتى ، أَنا ، تُشْبِهُك ، ولكنَّها بِمفْرَدِها أَهَمُّ مِنْك جميعاً ، ما دامَتْ هى التى رَوَّيْتُها ، ما دامت هى التى وَضَعْتُها تَحْتَ الغطاءِ الزُّجَاجى ، وما دامت هى التى حَمَيْتُها بِحاجِزِ الرِّيح ، وما دامتْ هى التى قَتَلْتُ الدّيدان من أَجلها (سوى الثلاث أَو الأَربع من أَجل الفراشات) ما دامَتْ هى التى سَمِعْتُها تَتَوَجَّع ، أَو تَخْتال ، أَو تَصْمُت فى بَعْضِ الأَحْيان ، ما دَامَتْ هى وَرْدَتِى .

ثُمَّ عادَ إِلى الثَّعْلَبِ وقال :



ــ وداعاً !

فقال الثعلب :

ــ وداعاً ! هاك سِرِّى وهو بَسيط للغاية : المرءُ لا يُحسِنُ الرُّؤْيةَ إلاَّ بِقَلْبِه . فالْجَوْهَرُ خَفِيٌّ عَن الأَنْظار . فَكَرَّرَ الأَمِير الصَّغيرُ رَغْبَةً فى التذكر .

ــ الجوهرُ خَفِيٌّ عن الأَنْظار .

ــ إنه الوقْت الذى ضَيَّعْتَه فى سَبيل وَرْدَتِك ، هو الذى جَعَل ورْدَتَك مُهِمَّةً بِهذا الْقَدْر .

فَكرَّرَ الأَمير الصغير رَغْبة فى التذكر .

ــ إنه الوقت الذى ضَيَّعْتُهُ فى سبيل وردتى . . .

فَقال الثعلب :

ــ لَقد نَسِيَ الناس هذه الْحَقيقة . ولكن عَلَيْك أَلا تَنْساها . لقد أَصْبَحْتَ أَبدًا مَسْئولا عَمَّا اسْتَأْلَفْتَه . أَنْتَ مَسْئُول عن وردتك .

فَكرَّر الأَمير الصغير رغبة فى التذكر .

ــ أَنا مَسْئولٌ عن وَرْدتى .

(٢٢)

قالَ الأَمير : عِمْ صبَاحاً !

فقال مُحَوِّلُ الخُطوط : عم صباحاً !

قال الأَميرُ الصغير : ماذا تعمل هنا ؟

فقال محول الخطوط : إنَّنى أَفْصِلُ بَيْنَ الْمُسَافرين فى مسافات بعيدة . فأُوَجِّه القِطارات التى تُقِلُّهُم تارةً جهَةَ الْيَمين وتارةً جِهَةَ الْيَسار. وَهَدَرَ كالرَّعْد قطارٌ سَرِيع ، تَزَلزَلَت لَهُ حُجْرة التَّحْوِيل .

فقال الأَمير الصغير : شَدَّ ما هُمْ مُتَعجِّلُون ! عَمَّ يَبْحَثون ؟

فقال مُحَوِّلُ الْخُطوط : إنَّ رَجُلَ الْقاطرة نَفْسَهُ يَجْهَلُ ذلك .

وَهَدَرَ قطارٌ سريعٌ مضىءٌ . ودوى ضوءٌ سريع آخر فى اتِّجاه عَكْسِيّ .

فقال الأَمير الصغير : أَتُراهُمْ وَصَلوا ؟

فقال محول الخطوط : ليسوا هم أَنْفُسُهم . إنَّهَا مُبادَلَة .

فقال الأَمير الصغير : أَوَلَمْ يَكونوا عَلى ما يرام، هناك ، حيث كانوا ؟

فقال محول الخطوط : المرءُ لا يَكونُ قَطُّ على ما يُرام حَيْثُ يَكون .

وَهَدَرَ الرعد بقطار سريع مضىء ثالث .

فسأَل الأَمير الصغير : أَتَراهُم يَتَعَقَّبون الْمسافرين الأَوَّلين ؟

فقال محول الخطوط : إنهم لا يَتَعَقَّبون شَيْئاً على الإِطْلاق ، إنَّهم يَنامُون بالدَّاخل ، أَوْ يَتَثَاءَبُون.

إنَّ الأَطْفال وحدهم هم الذين يَدُسُّون أنُوفَهُم فى الزُّجاج .

فقال الأَمير الصغير : الأَطفالُ وحدهم هم الذين يَعْرفون عَمَّا

يَبْحَثون . إنهم يُضَيِّعُون الوَقْتَ وراءَ لُعْبَةٍ من الْقُصاصات ، تُصْبِحُ مِن الأَهَمِّية بمكان ، ولو انتزعنَاها منهم لبَكوْا . .

فقال المحول : إنهم لَمَحْظوظون .

(٢٣)

قال الأَمير الصغير : صباح الخير !

فقال التاجر : صباحَ الخير !

كان هذا تاجرَ أَقراصٍ مُجَهَّزَة تُخَفِّفُ الظَّمَأَ . يَبْتَلِع الشَّخْصُ منها واحدةً كُلَّ أُسْبوعٍ فَلاَ يَشْعُر بالْحاجَة إلى الشُّرب إطْلاقًا .

فقال الأَميرُ الصغير : وَلِمَ تَبيعُ هذا ؟

فقال التَّاجر : إنَّه تَوْفيرٌ عَظيمٌ للْوَقْت . لَقَدْ قام الْخُبراءُ بإجْراءِ عمليات . إنَّنا نُوَفِّر ثَلاثاً وخمسين دقيقةً أُسْبوعيًّا .

فقال الأَميرُ الصغير : وَفِيمَ تُقْضى هذه الثلاثُ والخمسون دَقيقة ؟

قال التاجر : نَقْضِيها فيا نُريد . . .

فقال الأَميرُ فى نفسة : « أَنا ، لو كان عندى ثلاثٌ وخمسون دَقيقةً لِقَضائِها ، لَمَشَيْتُ بِكُلِّ مَهَلٍ تِجاه نَبْعِ ماء .

(٢٤)

كُنَّا فى الْيَوْم الثَّامِنِ للْعَطَل وَسْطَ الصَّحْراءِ . وكنتُ قد سَمِعْتُ قِصَّةَ التَّاجر وأنا أَجْرَعُ آخِرَ قَطْرةٍ منزادى مِنَ الماء .

فَقُلْتُ للأَميرِ الصغير :

–آه ! لكم هى جميلةٌ ذِكْرياتك ! ولكننى لم أُصْلِحْ بَعْد طَائرتى . وليس لدى ما أَشْرَبُه على الإطلاق . وقد أَسْعَدُ أنا أَيْضاً لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسِيرَ على مَهَلٍ تجاه نَبْعِ ماء .

فقال لى :

– إن صَديقى الثَّعلب . . .

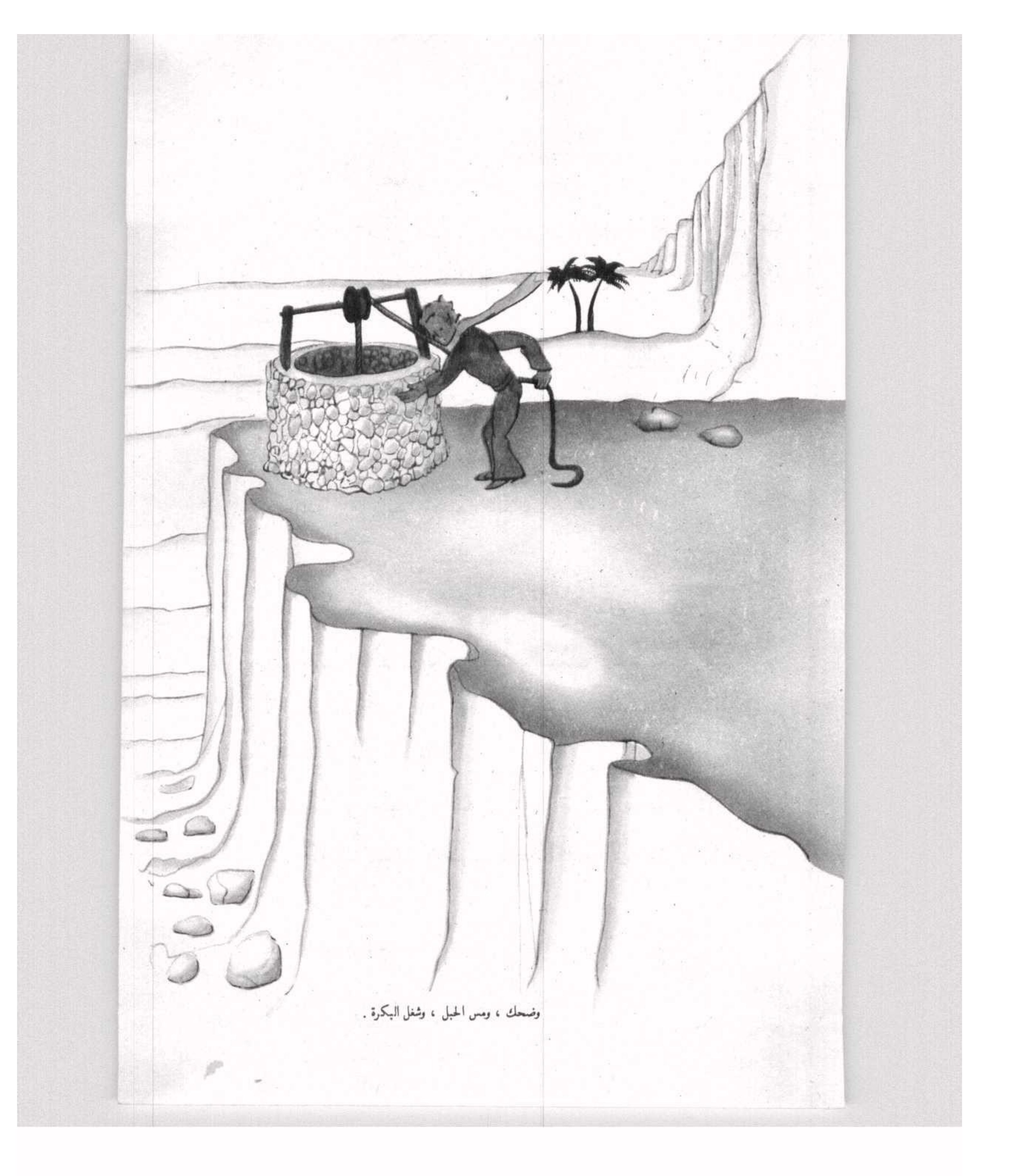
– يا غلامى ، لَيْس الأَمْرُ أَمْرَ ثَعْلب .

– لماذا ؟

– لأَنَّنا سَنَقْضِى مِن الظَّمَأ . ولم يُدْرِك مَنْطِقِى. فأَجاب :

– إنه لَجَميلٌ أَنْ يَتَّخِذَ الْمَرْءُ صَديقاً حتىوهو على أَبوابِ الْموت ، فأَنا سعيد لأَننى صادَقْتُ ثَعْلَباً .

فَقُلْتُ فى نفسى : إنه لا يُقَدِّرُ الْخطَر . إنه لَمْ يَجُعْ فى حَياته ولم يَظْمَأْ . فَقَدْرٌ ضَئيلٌ مِنَ الشَّمْس يَكْفِيه . ولكنَّه رَمَقَنى وأَجَابَ على فِكْرَتى :



وضحك ، ومس الحبل ، وشغل البكرة .

ـ أنا ظَمْآنُ أيضاً . فَلْنَبْحَثْ عَن بئر . . .

فَأَتَيْتُ حَرَكَةَ ضِيق ؛ فلَيْس من الْعَقْل فى شىءٍ أن يَبْحَثَ المَرْءُ عَشْوائِيًّا عَنْ بِئْرٍ فى مَتاهاتِ الصَّحراءِ . ومع ذلك فَقَدْ أَخَذْنا فى الْمَسير .

وبعد أَن سِرْنا ساعات صَامِتَيْنِ ، هَبَطَ اللَّيل وبَدَأَت النُّجُوم تُضىءُ . وكنْتُ أَرْقُبُها كالرُّؤْيا ، فَقَدْ كان بى شَىْءٌ من الحُمَّى بِسَببِ ظمئى . وكانَت كَلِماتُ الأَميرِ الصّغيرِ تَتَرَاقَصُ فى مُخَيِّلَتى .

فَسَأَلتُهُ : هل أَنتَ كَذلك ظَمْآن ؟

ولكنه لم يُجِبْ على سُؤالى .

وقالَ فى سَذَاجة : الماءُ يمكن أَن يَصْلح كذلك لِلْقَلْب .

ولَمْ أفهَمْ إجابَتَه . ولكننى لُذْتُ بالصَّمْت ؛ فقد كُنْتُ أَعْلَمُ جَيِّدًا أنه لا يُجِبُّ سُؤَاله . وكان مُجْهَدًا ، فَجَلَسَ وَجَلَسْتُ على مَقْرُبَةٍ منه . وَبَعْدَ لَحْظَةِ صَمْتٍ عَادَ فقال :

ـ إنَّ النُّجُوم جَمِيلة بسبب وَرْدَة لا تُرَى . فَأَجَبْت :

ـ « بكل تأْكيد » . وتَطَلَّعْتُ دُونَمَا كَلامٍ إلى انثناءات الرمال فى ضوءِ القَمَر . فَأَضَاف :

ـ إن الصَّحْراءَ جَميلة .

وكانت هذه حقيقة ، فطالما أحْبَبْتُ الصَّحْراءَ : يَجْلِس الْمَرْءُ فَوْق أَحَدِ الْكُثْبان الرَّمْلِيَّة ولاَ يَرَى شَيْئاً ، ولا يَسْمَعُ شيئاً ، ومع ذلك فإِنَّ شَيْئاً ما يُشِعُّ فى الصَّمْت .

وقال الأَميرُ : إِنَّ جَمَال الصَّحْراءِ يَكْمُنُ فى أَنَّها تُخْفِى بِئْرًا فى مَكان ما . ودُهشْتُ عِندما فَهِمْت هذا الإِشْعَاع الْغَامِضَ للرِّمال . حينما كُنْتُ طِفْلاً صَغِيرًا ، كُنْتُ أَسْكُنُ مَنْزِلاً قَدِيماً — وكانت الْخُرافَةُ تَحْكِى أَنَّ ثَمَّة كنزًا مخبوءًا فِيه . ومنَ الْمُؤكد أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْتَطِع اكْتِشافه ، أَو حتى يُحاول مُجَرَّدَ الْبَحْث عَنْه . ولكنَّه كان يَخْلُبُ الْمَنْزل كُلَّه . إن بَيْتى يُخْبِئُ سِرًّا فى باطِن قَلْبِه .

فَقُلْتُ للأَمير الصَّغير :

— أَجَلْ ! فَسَواءٌ كان المَنْزِل أَو النُّجومُ أَو الصحراءُ ، فإن سرَّ جَمالها غَيْرُ مَنْظور . فقال :

— يَسُرُّنى أَنْ تَكونَ على اتِّفاق مع ثَعْلَبِى . ولما أَخذ الأَميرُ فى النَّوْم ، أَخَذْتُه بَيْنَ ذِرَاعَىّ وَعُدْتُ لِلْمَسير . كُنْتُ مُنْفَعِلاً ، فَقَدْ كان يَبْدو لى أَننى أَحمل كَنْزًا واهِياً ، حَتَّى أَنه كان يُخَيَّلُ لى أَنَّه لَيْسَ ثَمَّةَ أَكْثَرُ وَهَنًا منه على الأَرْض . كُنْتُ أَتطَلَّعُ فى ضَوْءِ الْقَمَر إلى ذلك الْجَبين الشَّاحِب ، وتِلْكَ الْعُيون الْمُغْمَضة ، وتِلْكَ الخُصُلاتِ مِنَ

الشَّعْرِ الَّتى تَهْتَزُّ فى الرِّيح . وكُنْتُ أَقُول فى نَفْسى : إنَّ ما أَرَاهُ لَيْسَ إلاَّ لِحاء . فالْجَوْهَرَ غَيْرُ مَنْظور . ولَمَّا كانَتْ شَفَتَاه الفاغِرتَان تَرْسِمان نِصْف ابْتِسامَةٍ ، عُدْتُ أَقُولُ لِنَفْسى : إن ما يَشُدُّنى بِهذِهِ الْقُوَّة إلى ذَلك الأَمِير النَّائِم لَهُوَ إِخْلاصُهُ لصورةِ الْوَرْدَةِ التى تَشِعُّ فِيه كَلَهَبِ الْمِصْباح ، حَتَّى وهُونَائِم . وتَخَيَّلْتُه أَكْثَر وَهَناً . لا بُدَّ مِنْ حِمايَةِ الْمَصابِيح ؛ فإِنَّ هَبَّةَ رِيح يُمْكِنُ أَنْ تُخْمِدَها .

وبَيْنَا أَنا أَسِيرُ كَذلك ، اذ اكْتَشَفْتُ الآبارَ عِنْدَ مَطْلَعِ النَّهار .

(٢٥)

قالَ الأَميرُ الصغير :

ـ إن الناسَ يَتَهالكُون على الْقطارات السَّريعةِ ، ولكنَّهُم لا يَدْرون عَمَّا يَبْحَثون ، وعلى ذلك فَهُم يَتَحَرَّكون ويدُورُون فى حَلْقَة . . . ثُمَّ أَضَاف . . . هذا لا يَسْتَأْهِل تَعَبه . . .

لم يَكُنْ البِئْرُ الذى بَلَغْناهُ لِيُشْبِهَ الآبارَ الصَّحْراوِيَّة . فالآبارُ الصَّحْراوية هى مُجَرَّدُ فَتَحاتٍ مَحْفُورَةٍ فى الرِّمال . أَمَّا ذَلك البئر فكانَ يُشْبِهُ بِئْرَ الْقَرْية . ولكن لم تَكن هُناك .أَيةُ قَرْيَة . وكُنْتُ أَعْتَقِد أَنِّى أَحْلُم ، فقلت للأَميرِ الصَّغير :

ـ عَجيب ! كُلُّ شَىْءٍ مُعَد : البَكَرة ، والدَّلْو ، والْحَبْل . .

فَضحِك ، ولَمَسَ الْحَبْل ، وشغَّل الْبَكَرَةَ .فأَنَّت الْبَكَرةُ كما يَئِنُّ جِهازُ تَعْيِين اتّجاه الرِّيح عِنْدَما تكون الرِّيح قَدْ نَامَتْ طَويلاً .

فقال الأَميرُ الصغير : أَتَسْمَع ؟ إننا نُوقظُ هذا الْبئر ، فَهو يُغَنِّى ..

ولَمْ أَشَأْ أَن يَبْذُل مَجْهودًا فقلتُ له :

ـ دَعْنِى أَفْعَل . فهذا فوق طاقَتِك . وَرَفَعْتُ الدَّلْو بِبُطْءٍ حتَّى حافَّةِ الْبِئْر . وأَحْكَمْتُ وَضْعَه . وكان غناءُ الْبَكَرة لا يزال صداه فى أُذُنى . وفى الماءِ الَّذى كان لا يزَال يَضْطَرِب ، كُنْتُ أَرَى الشَّمْسَ تَضْطَرِب .

وقالَ الأَميرُ الصَّغير : أَنا ظَمآنٌ إلى هذا الماءِ ، أَعْطِنى لأَشرب .

وأَدْرَكْتُ ماكانَ يَبْحَثُ عَنْه . وَرَفَعْتُ الدّلْوَ حَتَّى شَفتَيْهِ . فَشَرِبَ وعَيْنَاه مُغْلَقَتان . كان هذاعَذْباً كالْعيد . فلَمْ يكن هذا الماءُ مُجَرَّدَطَعامٍ وَحَسْب ، لَقَد وُلِدَ مِنَ السَّير تَحْتَ النُّجوم ، مِن غِنَاءِ الْبَكَرَة ، ومِنْ مَجْهُودِ ذِراعَىّ . إنَّه صالِحٌ لِلْقَلْبِ كَهَدِيَّة . عِنْدَمَا كُنتُ طِفْلاً صغيراً كان نُورُ شَجَرَةِ عيدِ الْمِيلادِ وموسيقى صَلاةِ مُنْتَصفِ اللَّيل وَحلاوَةُ الْبَسَماتِ تُمَثِّل ، هٰكذا ، كلَّ إِشْعَاعٍ لِهَدِيَّةِ عِيدِ الْميلاد التى كُنْتُ أَتَسلَّمُها .

قالَ الأَميرُ الصغير :

ـ إنَّ النَّاسَ عِنْدَكُم يَزْرَعون خَمْسَةَ آلافِ وَرْدةٍ فى نَفْس الْبُسْتان ، ولا يَجدُون فيه ما يَبْغون . فَأَجَبْتُ : إنَّهم لا يجِدُونَه . . .

– ومع ذلك فَمِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنَّ ما يَبْحَثُون عَنْه قَدْ يوجَدُ في وَرْدَةٍ واحِدَةٍ ، أَو في قَدْرٍ قَليل مِنَ الْمَاءِ . فَأَجَبْتُ : بكل تأكيد .

وأضاف الأَميرُ الصَّغير :

– ولكنَّ الْعُيون عَمْياءُ . وَيَجِبُ الْبَحْثُ بِطَريقِ الْقَلْب . كُنْتُ قَدْ شَرِبْتُ ، فَباتَ تَنَفُّسى حَسَناً . والرِّمالُ عِنْدَ مَطْلَع النَّهارِ تكونُ في لَوْنِ الْعَسَل ، وكُنْتُ سَعِيدًا أَيضاً بِلَوْنِ الْعَسَل هذا . فماذا يا تُرى قد اسْتَوْجَبَ ضِيقِى ؟ . .

قالَ لى الأَميرُ الصغيرُ بِرِقَّة ، وقَدْ عادَ فَجَلَسَ إِلى جِوارِى مِنْ جَدِيدٍ :

– يَجِبُ أَنْ تَفِىَ بِوَعْدِك .

– أَىَّ وَعْد ؟

– كمَا تَعْرِف . . . كِمامَة لِخَرُوفى . . . فَأَنا مَسْئُولٌ عَنْ هَذِه الْوَرْدَة .

فَأَخْرَجْتُ أَدَواتِ الرَّسْم من جَيْبى ، وَرَآها الأَميرُ الصغيرُ فقالَ ضاحِكاً :

– إن باءَ وباءك تُشْبِه الْكُرُنْبَ إلى حَدٍّ ما .

– أُوه !

أَنا الَّذى كُنْتُ فَخُورًا بِأَشجار الباء وباب .

– ثَعْلَبُك . . . أُذناه . . . تُشْبِهان الْقُرُون إلى حَدٍّ ما . . . وهى مُفْرِطَةٌ في الطُّول . وضَحِكَ ثانِيَةً .

ـ إنَّكَ ظالِمٌ يا غُلامى . أنا لا أُجيدُ أَبدًا غَيْرَ رَسْم البوا مَفْتوحَةً أَوْ مُغْلَقَةً .

ـ أوه ! لا بـأْس . الأَطْفالَ يَعْرِفون . . .

وعندئذٍ خَطَطْتُ كمَامَة . وانْقَبَضَ قَلْبى وأنا أُقَدِّمُها لَه . . .

ـ إن لَكَ مَشْروعاتٍ أَجْهَلُها . ولكنه لم يُجِبْنى ، وقال لى :

ـ كما تَعْرِف ، سُقُوطى على الأَرض .. غَدًا سَتَكُون ذِكْراه السَّنَويَّةَ .

ثُمَّ قَال بَعْدَ لَحْظَةِ صَمْت . . .

ـ سَقَطْتُ قَريباً جِدًّا مِنْ هذا الْمكان . واحْمَرَّ خَجَلاً .

ومِنْ جَدِيد ، وبِدُون أَن أَدْرى لذلك سَبَباً ، شَعَرْتُ باكْتِئابٍ غَرِيب . ومَعَ ذلك فقد عَنَّ لى سُؤال :

ـ إذن لَمْ يَكُنْ مُجرد صدفةٍ أَنَّه فى صَباح الْيَوم الذى عَرَفْتُك فِيه ، مُنْذ ثَمَانِيَةِ أَيّام ، كُنْتَ تَتَنَزَّه هكذا وحيدًا على بُعْدِ أَلْفِ ميلٍ من جميع المناطِق الْمَسْكونة . كنتَ تَحومُ ناحِيَةَ النُّقْطَةِ الَّتى سَقَطْتَ فِيها . وَمَرَّةً ثانيَة احْمَرَّ الأَمير خَجَلاً ، فَأَضَفْتُ مُتَرَدِّدًا .

ـ فَهَلْ كان ذلك بِسَبَب الذِّكرى السَّنَويّة ؟

وَمِنْ جَديد احْمَرَّ الأَميرُ خَجَلاً . إنَّه لا يُجِيبُ عنِ الأَسْئِلَة أبدًا . ولكنْ عِنْدما يَحْمَرُّ الْمَرْءُ خَجَلاً ، فهذا مَعْناه « نعمْ » أَلَيْسَ كذلك؟ فَقُلْتُ له :

–أوه ! إنِّى خائِف . . . ولكنه أجابَنى قائلاً :

–تَسْتَطيعُ أَنْ تعْمَل الآن . يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعُودَ إلى آلَتِك . أنا فى انْتِظارِك هنا . فَعُدْ غَدًا مَساءً . . ولكِنَّنى لم أَكُنْ مُطْمَئِنًا . وتَذَكَّرْتُ الثَّعْلَبَ . إنَّ الْمَرْءَ يَتعَرَّضُ لِقَدْرٍ مِنَ الْبُكاءِ ، إذا ماتَرَكَ نَفْسَه يُسْتَأْلَف .

(٢٦)

كان يُوجَدُ إلى جِوارِ الْبِئْر ، بقايا لأَطْلالِ جِدَار قَدِيم مِنَ الْحِجارَة . وعندما عُدْتُ مِنْ عَمَلى فى مَسَاءِ الْيَوْم التَّالى . لَمَحْتُ مِنْ بَعِيدٍ أَمِيرِى الصَّغِيرَ جَالِساً فَوْقَه ، وساقاه مُتَدَلِّيَتَانِ . وَسَمِعْتُه يَتَكَلَّم . كان يَقُول : أَوَلاَ تَذْكُرُ إِذَن ؟ لَيْسَ هُنا تَماماً .

وَكانَ ثَمَّةَ صَوْتٌ آخَرُ يُجِيبُه قَطْعَاً ما دامَ قدَ رَدَّ :

–بلى ! بلى ! إنَّه الْيَوْمَ فِعْلاً ، ولكنَّ الْمَكانَ ليس هنا . .

وتابَعْتُ سَيْرِى ناحِيَة الْحائِط . وكُنْتُ دائماً لا أَرَى ولا أَسْمَعُ أَحَدًا . وَمَعَ ذلك فقدَ رَدَّ الأَمِيرُ مِنْ جَدِيدٍ :

–. . . بكُلِّ تأْكيد . سَتَرَى أَيْنَ يَبْدَأُ أَثَرى فى الرَّمْل . ولَيْسَ عَلَيْكَ إلاَّ أَنْ تَنْتَظِرَنى هُناك ، فسأَكون هناك هذه الليلة . وكُنْتُ على بُعْدِ عِشْرين مِتْرًا من الحَائِط ودائِماً لمْ أَكُنْ لأَرى شَيْئاً .

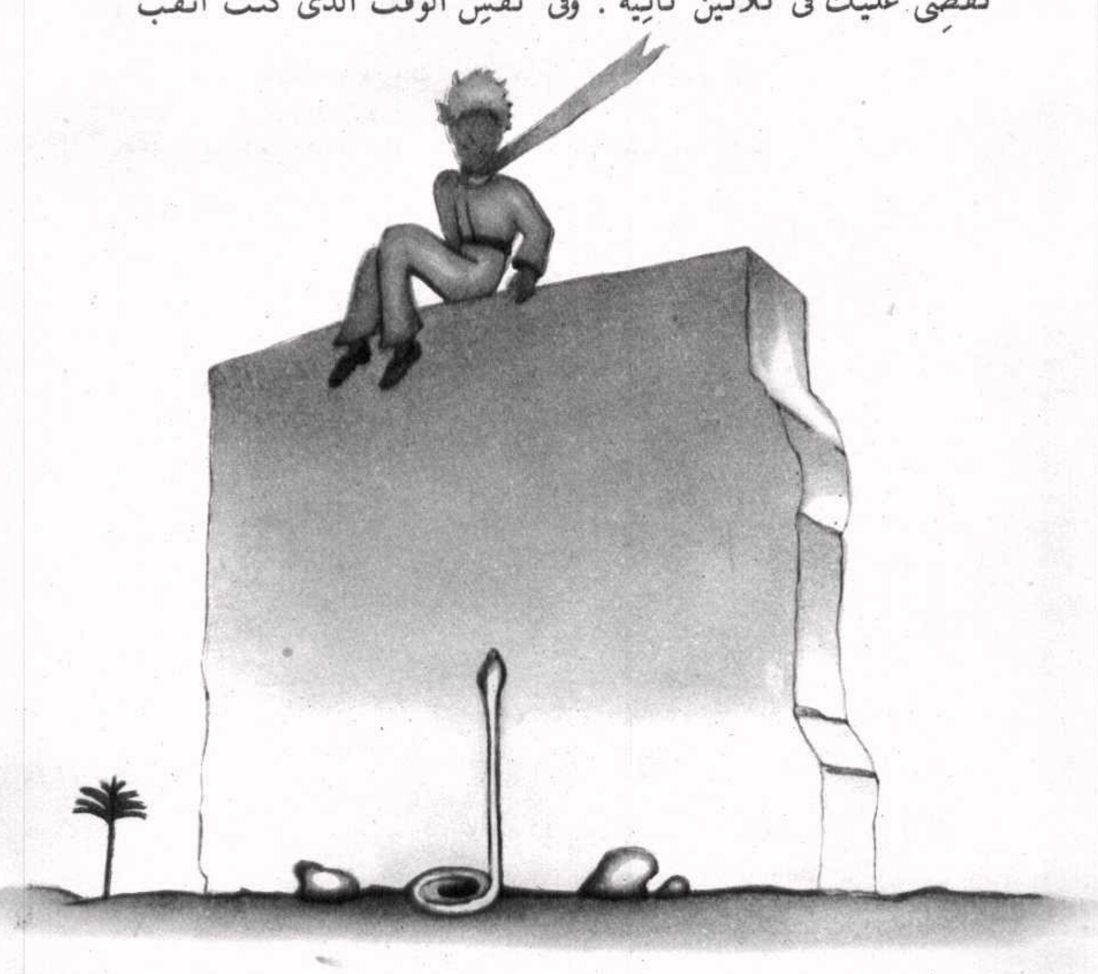
وعاد الأَميرُ يقولُ بَعْدَ لَحْظَةِ صَمْت :

- هل عِنْدَك سُمٌّ زُعاف؟ هل أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ أَنَّكَ لَنْ تُؤْلِمَنى طَويلاً؟

فتوقفتُ وقلبي منقبضٌ ولكنَّنى دائماً لم أَكن أَفْهَمُ شيئاً .

- والآن ، اذْهَبْ أَنْت . . فإِننى أُريدُ أَنْ أَنْزِلَ ثَانِيَةً .

وعِنْدئِذٍ خَفَضْتُ عَيْنِى إلى سَفْح الْجَبَل وقَفَزْتُ فجأَة ... كان هناك ،مُنْتَصِباً تِجاه الأَمير الصَّغير، واحدٌ من تِلْك الثعابين الصَّفْراءِ التى تَقْضِى عَلَيْك فى ثلاثين ثانِيةً . وفى نَفْسِ الْوَقت الذى كُنْتُ أُنقِّبُ



فِيه فى جَيْبى لِكَىْ أُخرِ جَ مُسَدَّسى كنت أتخذ طريقى ؛ لكِنَّ الصوتَ الذى أَحْدَثْتُه جَعَلَ الثُّعْبان يَنْسَابُ فى الرِّمالِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، كَرشْقَةِ مَاءٍ تَموتُ ، ودونماعَجَلَةٍ تتسرب بَيْنَ الأَحْجَار بِصَوْتٍ مَعْدِنى خَفِيف . وبَلَغْت الحائِطَ فى اللَّحظَةِ الْمُنَاسِبَة لكى أَتَلَقَّى غُلامى بَيْن يَدَىَّ شَاحِباً كالْبَرَد .

ــ ما هذه القِصَّةُ يا تُرى ؟ أَنْتَ الآنَ تَتَحَدَّثُ إلى الثعابين. وطَرَحْتُ عَنْهُ لُفَاعَتَه الذَّهَبِيَّةَ الأَبَدِيَّة ، وبَلَّلْتُ نَافُوخَه . وعِنْدَئِذٍ لم أَكُنْ لِأَجْرُؤَ أَنْ أَسْأَلَهَ شَيئاً ، وَرَمَقَنى باهْتِمام وَطَوَّقَ عُنُقى بِذِرَاعَيْه . وَشَعُرْتُ بِقَلْبِه ينبِضُ كَعُصْفُورٍ يَقْضى بَعد أَن صِيدَ بِبُنْدُقِيَّةٍ . قال لى :

ــ أنا سَعيدٌ أَنَّكَ وَجَدْتَ ما كان يَنْقُصُ آلتك . فسيكون فى استطاعتك أن تَعُود إلى بيتك .

ــ كَيْفَ عَرَفْت ؟

وكنتُ توًّا قد أَزمعت أَن أُعْلنه أَننى على الرَّغْم منْ ضَياعِ كُلِّ أَملى ، قد نجحت فى عملى ، ولَمْ يُجِب بِشَىءٍ على سُؤالى، ولكنَّه أَضاف:

ــ أنا كذلك أَعُودُ الْيَوْمَ إلى بيتى .

ثم باكْتِئاب :

ــ إنه الآن لأَكثر بعدًا . . . وإن الوصول إليْه لأَكثرُ صُعُوبَةً .

كُنْتُ أُحِسُّ أَنَّ شَيْئاً خارقاً لِلْعَادَةِ يَجْرِى ، وكُنْتُ أَضُمُّهُ بَيْنَ ذِرَاعَىَّ

كَطِفْل صَغِير ، وَرَغماً عَنْ ذَلك فَقَدْ كان يَبْدُو لى أَنَّه يَنْساب رَأْسِيًّا إلى هاوِيَةٍ ، دُون أَنْ أَسْتَطيع الاحْتِفاظَ بِه.

كانَتْ نَظْرَتُه جادَّةً ، ضائعةً بَعيدًا جدًّا :

ـ عنْدى خَرُوفُك . وعندى صندوقُ الْخَروف . وعنْدى الكِمَامَة . وابْتَسَم باكْتئاب .

وانْتَظَرتُ طويلاً ، وكُنْتُ أحسُّ أنه يَدْفأ رويدًا ، رويدًا .

ـ غلامى ، أَنْتَ خائِف. . .

كان خائِفاً بكلِّ تأْكيد . ولكنَّه ضَحِكَ بِرِقَّة .

ـ لَشَدَّ ما سأَخاف هذا المَساءَ !

ومن جَديدٍ شعرتُ بالبرُودَة بِفِعْل الإِحْساس بما لا يُمْكِن إِصْلاَحُه ، وأَدركتُ أَنَّنى لا أَتَحَمَّل فِكْرَةَ عَدَم ِ سَماعِ هَذا الضَّحِك ، فقد كان بالنِّسْبةِ لى كنبع ماءٍ فى الصَّحْراءِ .

ـ يا غُلامى ، إِنَّنى أَوَدُّ أَنْ أَسْمَعَكَ تَضْحَكُ ثانيةً . ولكنَّه قال لى :

ـ هذه الليلة سَيَتِمُّ عام . سَيَتَواجَدُ نَجْمى تماماً فَوْق الْمَكان الذَّى سَقَطْتُ فيه فى الْعام الماضى . . .

ـ غلامى، أَلَيْسَتْ حلماً سَخِيفاً قِصَّةُ ذلك الثُّعْبان والمَوْعِدِ والنَّجْم . . .

ولكنَّه لَمْ يُجِبْ على سُؤَالى ، وقال لى :

– إنَّ الجَوْهَرَ لا يُرى .

– فعلاً .

– إنَّ هذا كَشأْنِ الْوَرْدَة . إذا ما أَحْبَبْتَ وَرْدَةً فى أَحد النُّجوم ، يُصْبِحُ جميلاً أن تَتَطَلَّعَ إلى السَّماءِ لَيْلا ، فَكُلُّ النَّجوم تكون مُزْدَهِرَة .

– فعلاً . . .

– هذا كَحَالِ الْماءِ الذى أَعْطَيْتَنى إيَّاه لِأَشْرَبَه . كان كالْموسيقى بسَبَبِ الْبَكَرةِ والْحَبْل . . . كما تَذْكُر . . كان طَيِّباً .

– بكل تأْكيد

– سوف تَتَطَلَّع إلى الليل والنُّجوم . إن بَيْتى مُفْرطٌ فى الصِّغَر حَتَّى أُريكَ أَيْنَ يُوجَدُ نَجْمِى ، وهذا أَجْمَل ، فإِن نَجْمى سَيَكُونُ بالنِّسْبَةِ لك نَجْماً من النُّجُوم .

والنُّجوم ، وأَنْتَ تُحِبُّ التَّطَلُّع إلَيْهَا ، ستصبح كُلُّها صَدِيقَة لك . وبَعْد ، فَإِنَّنى مُقَدِّمٌ لَكَ هَدِيَّة . . وضَحِكَ ثانية . . .

– آه يا غُلامى ، يا غُلامى إنَّنى أُحِبُّ سَماع هٰذِه الضَّحكة .

– بالضبط ، سَتكونُ هذه هِيَ هَدِيَّتى . . سَيكُونُ كحالِ الماءِ . . .

– ماذا تَعْنى ؟

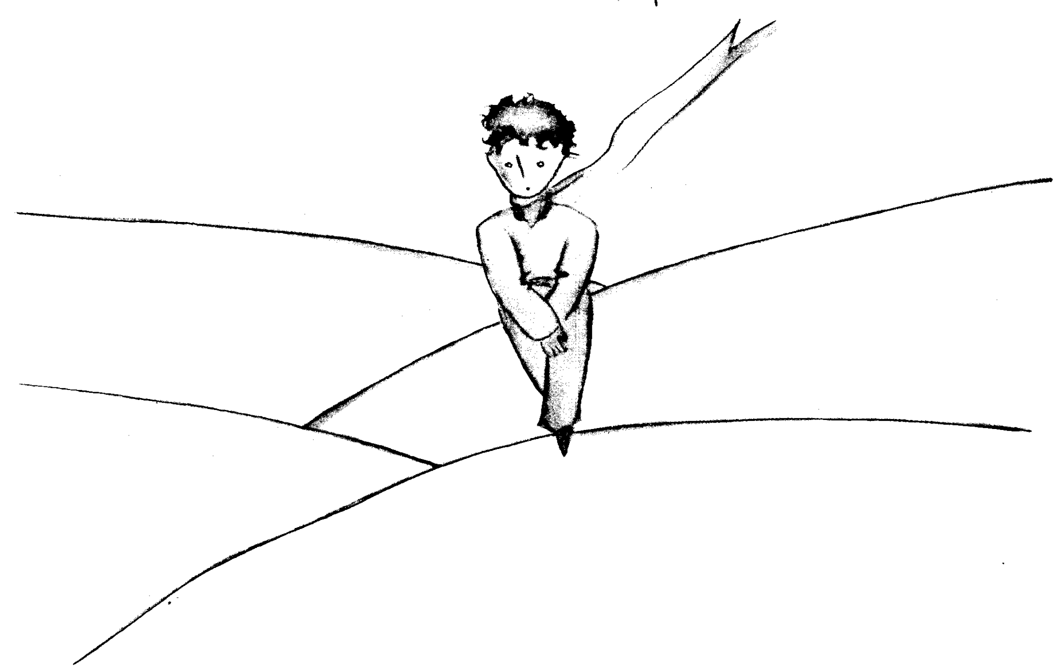
– إن النجوم تختلف فى نَظَر الناس . فَفَرِيق ، وهم الْمُسافِرون ،

يَرى النُّجُوم مُرْشِدَاتٍ . وآخرون لا يرون فيها غيرَ بَصِيصٍ مِنَ النور . وبالنِّسبَة لِفَرِيقٍ آخر ، وهم العلماءُ ، فهى تُمَثِّل بعض المُشكلات . وهى مِنَ الذَّهَبِ بِالنِّسْبَةِ لِرَجُلِ الأَعْمال ، ولكنَّ كُلَّ تِلْكَ النُّجُوم تَلْزَمُ الصَّمْت . وأَنْتَ ، ستكون لَكَ نُجُومٌ لَيْسَتْ لأَحَد .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ عندما ستتطلع إلى السماء فى الليل ، فبما أننى سأكون فى واحد منها ، وأضحك ؛ فسيبدو لك كما لو أن كل النجوم تضحك .

سيكون لك نجوم تعرف كيف تضحك! وضحك مرَّةً أُخرَى . . .



– وعندما تَسْلُو ، وَعَادَةً ما يَسْلُو المرءُ ، فسوف تَغْتَبِط لأنَّكَ عَرَفْتَنِي . وسَوفَ تَبْقَى صَدِيقِي أَبَدًا .

ولَسَوْفَ تَتُوقُ إلى الضَّحِكِ مَعِي . ولَسَوْف تَفْتَحُ أَحْيَاناً نافِذَتَك ، هٰكذا لِلْمُتْعَة . ولَسَوْفَ يَتَعَجَّبُ أَصْدِقاؤُكَ كثيرًا لِمَنْظَرِكَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ مُتَطلِّعًا إلى السَّماء . وعِنْدَئِذٍ سَتَقُولُ لَهُمْ : « أجل ، النجومُ ، هذا يُضْحِكُنِي دَائِماً » . ولَسَوْفَ يَظُنونَكَ مَعْتُوهًا . وبذلك سأكون قد قمتُ مَعَكَ بِلُعْبَةٍ سَخِيفَةٍ . وضَحِكَ مَرة أخرى :

– سيُصْبِحُ الأَمْرُ كما لَوْ كُنْتُ أَعْطَيْتُكَ بَدَلَ النُّجُوم أكْدَاساً مِنَ جَلاجِل تُجِيدُ الضَّحِك .

وضَحِكَ مَرَّة أُخْرى ثم عاد إلى جِدِّه :

– هذه اللَّيلة . . . أنتَ تعلم . . لا تَأْت !

– لَنْ أفارقَك .

– سَيَبْدُو عَلَيّ الإِرْهاق . وسأَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الْمَيِّتِ تقريباً . سيكون الأمر كذلك . لا تأْتِ لرؤية ذلك ، فلا داعي .

– لنْ أَدَعَك .

ولكنَّه كان مَهْمُوماً .

قُلتُ لك ذلك . . وهذا أَيضاً بِسَبَب الثُّعْبان . لا داعي لأَنْ

يَعَضَّك . . . إن الثعابين شيءٌ فَظِيع . وَيُمْكِنُ أَنْ تَعَضّ للَّذَّة . . .

ـ لن أفارقك .

ولكن شَيْئًا ما طَمْأَنَه . فأَرْدَفَ :

ـ حقًّا ! لَنْ يَكونَ لَدَيْهَا سُمٌّ لِلْعَضَّةِ الثَّانِية . . .

وفى تِلْك اللَّيْلَة لَمْ أَرَه يَأْخُذُ فى طَرِيقه . لقد انْفَلَت دُونَما ضَوْضَاء . وعندَما نَجَحْتُ فى الالْتِقاءِ به كان يَسيرحازِماً أَمْره بخطى



سَريعَة . قال لى : آه . أَنْتَ هنا . . .

وتَنَاوَلَنى مِن يَدِى ولكنه تـأَلم من جديد .

ـ لقد أَخْطَأْت ، ولَسَوْفَ تَتَأَلَّم . سَأَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الْمَيِّت ، ولَنْ يكونَ ذلك حقيقة .

ولكننى كنتُ أَلْزم الصمت .

ـ أنت تَعْلَم . الْمكان بعيدٌ جدًّا . وأَنا لا أَسْتَطيع أَنْ أَحْمِل ذلك الْجِسْم . فهو ثَقيلٌ لِلْغاية . وكُنْتُ أَنا أَلْزَمُ الصَّمْت .

ـ لكنه سَيُصْبِحُ كَقِشْرَةٍ قَديمَةٍ مُهْمَلَةٍ . ولَيْس ثَمَّة مَا يُحْزِنُ فى القُشُور الْقَدِيمَة .

وكنتُ أَنا أَلْزَمُ الصَّمْت . وَقَنَطَ قليلاً ؛ ولكنَّه بَذَلَ مَجْهوداً مِن جديد .

ـ سَيكونُ هذا لَطِيفاً . كما تعلمُ . وأَنا أَيضاً سَوْفَ أَتَطَلَّعُ إِلى النُّجوم . سَتَصير كُلُّ النُّجُوم بِئارًا ذات بكراتٍ يعْلُوها الصَّدَأُ . كُلُّ النُّجوم سوف تَصُبُّ لى لِكَىْ أَشْرب .

وكنتُ أَنا أَلْزَمُ الصَّمْت .

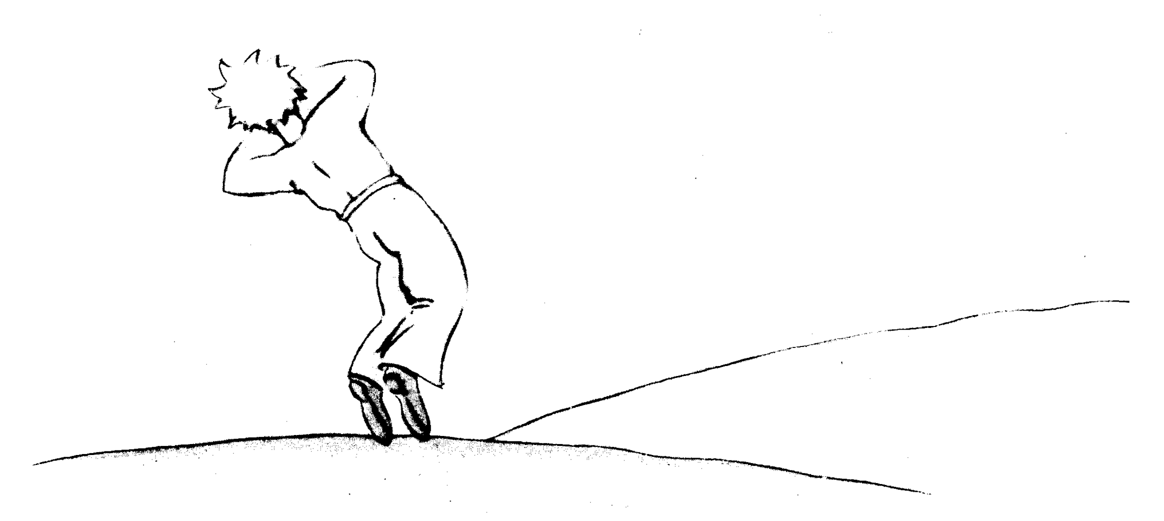
ـ سيكونُ الأَمْرُ مُسَلِّيًا بِمكان . سيكون لَدَيْك خَمْسمائة مِلْيون من الجَلاَجل ، وسيكون عِنْدى خَمْسِمائة مليون نبع ماء . . . وصَمَتَ هو أَيضاً لأَنَّه كانَ يَبْكى ...

– إنَّه هناك . دَعْنى أتَقَدَّم خُطْوةً بِمُفْرَدى .

وجَلَسَ لأَنَّه كان خَائِفاً . وقال :

– أنت تعلم . . . وردتى . . . أنا مَسْئُولٌ عَنْها . وهى ضَعِيفَةٌ لِلْغَاية . وهِى ساذِجَةٌ لِلْغَاية . وليس لديها غَيْرُ أَربع شوكات لكى تَحْمِيهَا مِنَ الْعالَم . وجَلَسْتُ أنا ، لأَنَّنى لم أَكُنْ أقْوَى عَلَى الوُقوف . وقال :





ـ ها هوذا . . . لقد قُضِى الأَمْر . . .

وتَرَدَّدَ بَعْضَ الشَّىءِ ثم نَهَض . وخَطا خُطْوَةً ولم أَسْتَطِعْ أنا الْحَراك . لم يكن بِهِ غيرُ وَميضٍ أَصْفَر قَريباً من كاحل قَدمِه ، وظَلَّ ثابِتاً لَحْظَةً . لَمْ يَصْرخ . سَقَطَ بِرِفْق كَما تَسْقُط الشَّجَرة . ولم يُسَبِّبُ ذلك أَى ضَوْضاء ، وذلك لوجود الرِّمال .

والآن بالضَّبْطِ ، تَمَّت سِتٌّ سَنَوات . . . ولَمْ أَرْوِ بَعْد هذه الْقِصَّةَ قَطٌّ . ولَشَدَّ ما سُرَّ الزُّمَلاءُ الَّذين رَأَونى حَيًّا . كنت حزيناً ، ولكنَّنى كُنْتُ أَقُول لَهَم إِنَّه الإِرْهاق . . .

والآن سَلَوْتُ بَعْضَ الشىءِ . أَى . . ليسَ تَماماً . ولكنَّنى أَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّه عَادَ إلى كَوْكَبه . ذلك أَنَّه عِنْدَ طُلُوع النَّهار لَمْ أَجِدْ جَسَدَه . فلمَ يَكُنْ جَسَدُه ثَقِيلاً بِمَكان . وأَنا أُحِبُّ الإِصْغَاءَ لِلنُّجوم لَيْلاً . الأَمْرُ يُشبهُ خَمْسِمائة مليونٍ من الجلاجل . . .

ولكنْ ها قَدْ حَدَثَ شىءٌ غريب . فإِنَّ الكِمَامَةَ الَّتى رَسَمْتُها للأَمِير الصَّغِير ، نَسِيتُ أَن أُضِيفَ إِليها السَّيرَ الْجِلْد . فلن يَسْتطَيع أَنْ يُقَيِّدَ الْخَروفَ . وعِنْدَئِذٍ تَساءَلْتُ : ماذا ياتُرَى حَدَثَ فَوْقَ كَوْكَبِه ؟

مِنَ الْمُحْتَمَلِ جِدًّا أَنْ يَكُونَ الْخَرُوفُ قَدْ أَكَلَ الْوَرْدَةَ ...

تَارَةً أَقُولُ لِنَفْسى : بالتَّأْكِيد لا . فإِنَّ الأَميرَ الصَّغير يَحْفَظُ وَرْدَتَه

طِوالَ اللَّيْل تَحْتَ غِطائِه الزُّجاجى ويُلاحِظُ خَرُوفه بِعِناية . . .

وعندئذٍ أحسُّ بالسَّعادة ، وتَضْحَكُ جَميعُ النُّجوم بِرِقَّة .

وتارة أَقول لنفسى : « المرءُ يَغْفُو لَحْظَةً أَوْ أخرى ، وفى هذا الكِفايَة . رُبَّما نَسىَ ذَاتَ مَساءٍ إناءَه الزُّجاجىَّ ، أَوْ خَرَجَ الْخَرُوف بِدُونِ ضَجيج أثناءَ اللَّيل . . . » وعنْدَئذٍ تَسْتَحيلُ الجلاجل كلها بُكَاءً .

ذلك سِرٌّ غامِضٌ لِلْغايَة . فبِالنِّسْبَةِ لَكُمْ ، يامَنْ تُحِبُّونَ الأَميرَ الصَّغير كما أُحِبُّه ، ليس ثمة شر فى الوجود . إن الوجود كُلُّه يَتَغَيَّرُ حالُه إذا كان هناك مكانٌ لا نَعْلَمه ، به خروفٌ لا نَعْرِفُه ، أكل أَوْ لَمْ يَأْكُلْ وَرْدَة .

تَطَلَّعُوا إلى السَّماءِ واسْأَلُوا أَنْفُسَكُم : يا تُرَى هلْ أَكَلَ الْخَرُوفُ الْوَرْدَةَ أَمْ لا ؟ وسَتَرَوْنَ كُلَّ شَىْءٍ يَتَحَوَّل . . .

ولن يُدْرِكَ أَىُّ شَخْصٍ كَبِير أَنَّ ذلك مُهِمٌّ لِلْغاية !

هذا فى رأيى ، أجمل وأقتم منظر فى الوجود . إنه نفس منظر الصفحة السابقة . ولكننى رسمته مرة ثانية لكى أوضحه لكم . فهنا ظهر الأمير الصغير ثم اختفى . تأملوا هذا المنظر بإمعان ، حتى تكونوا على يقين من التعرف إليه إذا ما حتم يوماً فى أفريقيا وسط الصحراء . ولو حدث أن مررتم به ، فإننى أتوسل إليكم ألا تتعجلوا . وانتظروا قليلا تحت النجم تماماً ، وحينئذ إذا ما أتاكم طفل ، وإذا ضحك ، وإذا كان شعره ذهبياً ، وإذا لم يجب عند ما يسأل فستحدسون من يكون .

عندئذ تلطفوا بى ولا تتركونى كئيباً : اكتبوا لى على عجل أنه أتى . . .

تم طبع هذا الكتاب على
مطابع دار المعارف بمصر